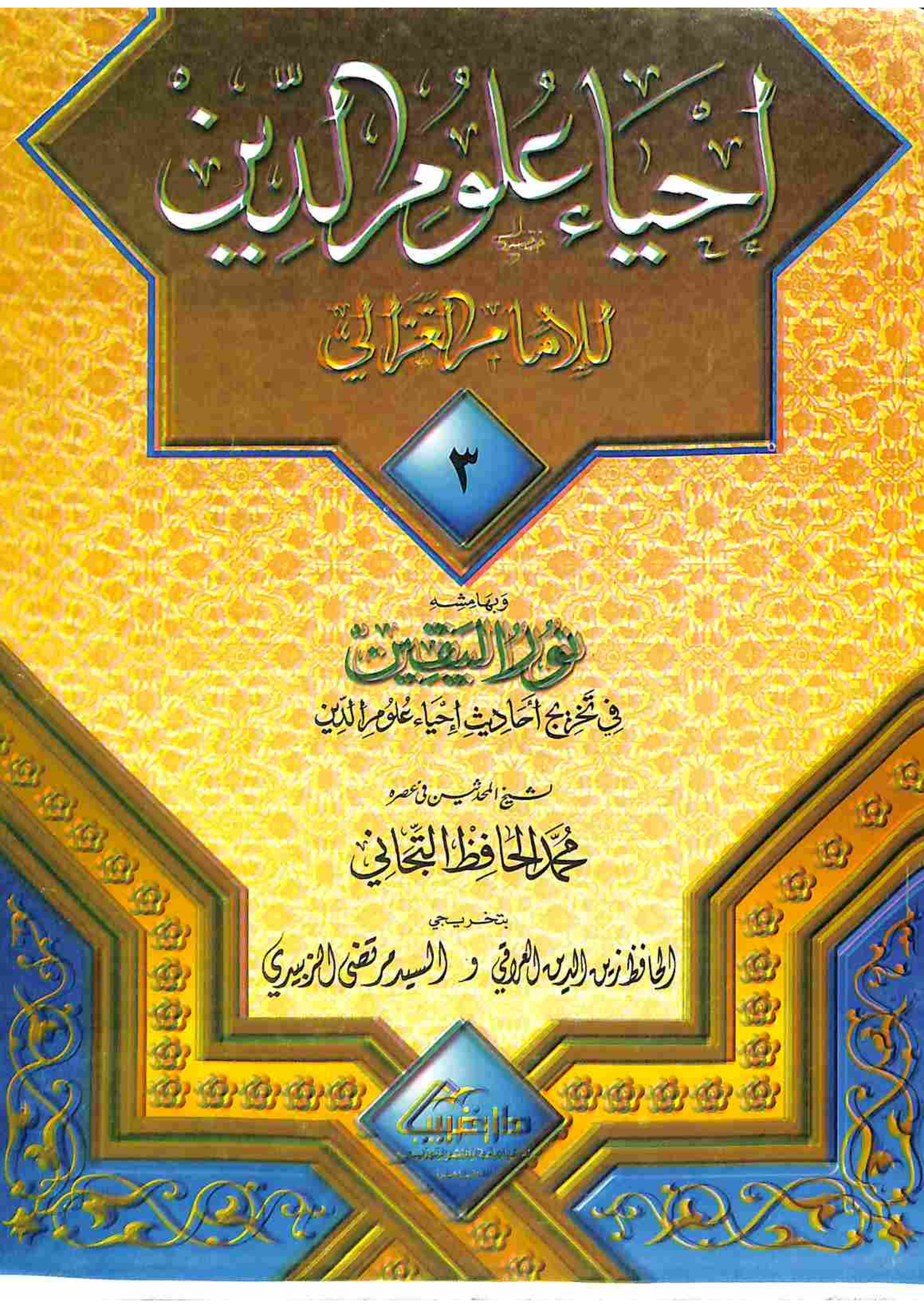
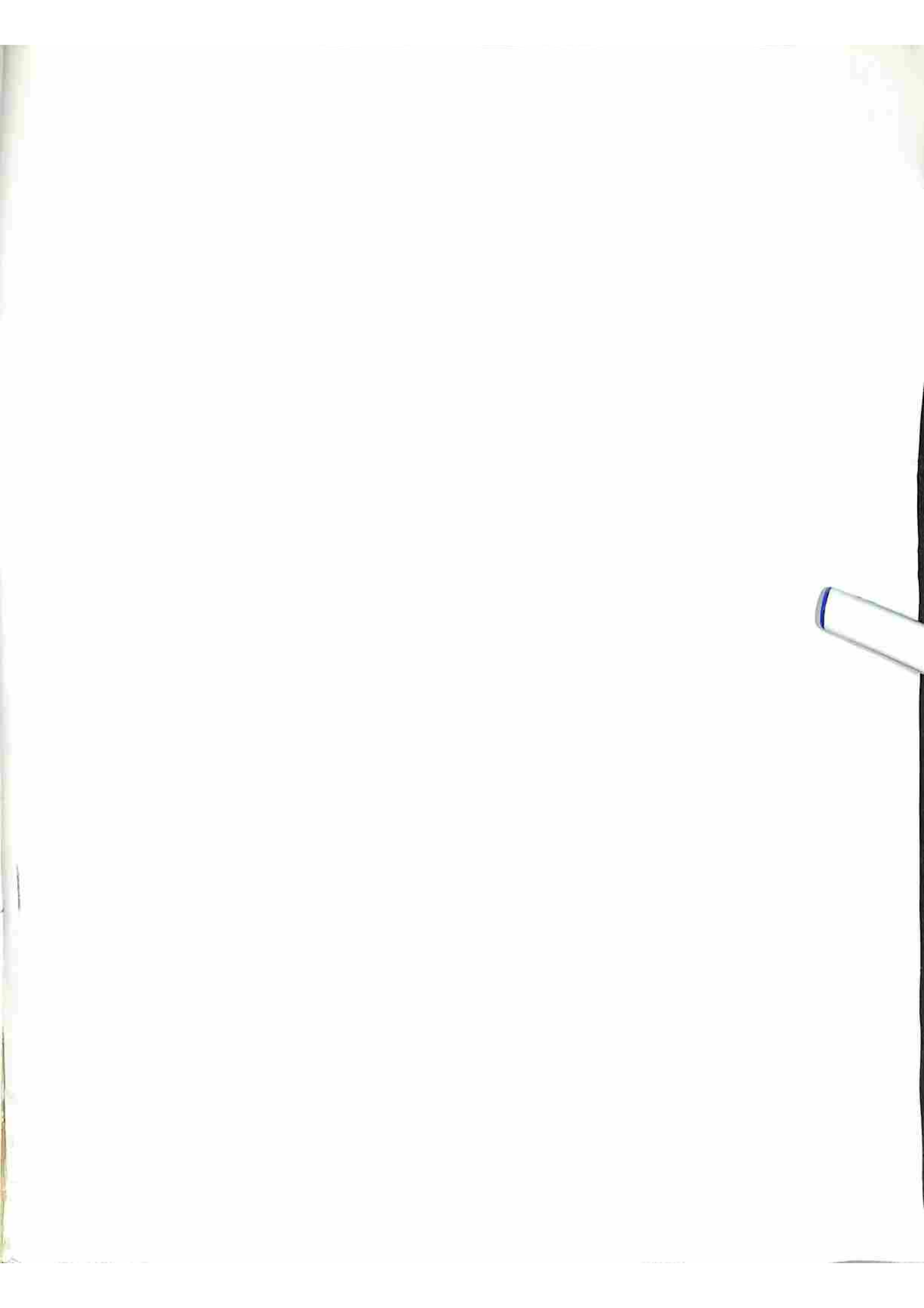


إحياء علوم الدين
للإمام الغزالي
٣
وبهامشه
نور اليقين
في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين
لشيخ المحدثين في عصره
محمد الحافظ التجاني
بتخريجي
الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي
دار غريب



جسمانية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة، ولكنها ليست تصلح إلا للإضرار بالخلق، والوسيلة إلى الشر شر؛ فكان ذلك هو السبب في كونه علمًا مذمومًا، بل من اتبع وليًا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه، وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر.

الثاني: أن يكون مضرًا بصاحبه في غالب الأمر، كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان: قسم حسابي، وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (الرحمن: ٥) وقال عز وجل: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس: ٣٩) والثاني الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض، وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه، ولكن قد ذمه الشرع.

قال ﷺ: «إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا» (٧٩).

(٧٩) حديث: «إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا» وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا» قال العراقي: أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن. ا هـ. أي في معجمه الكبير من رواية مسهر بن عبد الملك بن سلع الهمداني عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله رفعه، وفيه تقديم الجملة الأخيرة ثم الثانية ثم الأولى، ورواه الخطيب في كتاب القول في علم النجوم بلفظ المصنف من رواية أبي مخلم عن أبي قلابة عن ابن مسعود، وأبو مخلم اسمه النضر بن سعيد ليس بشيء، قاله ابن معين، وأبو قلابة لم يسمع من ابن مسعود، ورواه الطبراني أيضًا من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ نبه عليه الحافظ ابن حجر وابن عدي في الكامل عن عمر بن الخطاب بسند ضعيف، وقال الهيثمي: فيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف، ورواه أبو الشيخ في=

وقال ﷺ : « أخاف على أمتى بعدى ثلاثًا : حيف الأئمة، والإيمان بالنجوم، والتكذيب بالقدر » (٨٠).

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم أمسكوا. وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه :-

أحدها : أنه مضرٌ بأكثر الخلق ؛ فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتًا إليها، ويرى الخير والشرّ محذورًا أو مرجوًا من جهتها وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب، فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط

= كتاب الطبقات من رواية الحسن عن أبى هريرة مرفوعا فى أثناء حديث، وقال ابن رجب: روى من وجوه فى إسنادها كلها مقال، وقد رمز السيوطى لحسنه تبعا لابن حصرى ولعله اعتضد قال المناوى فى شرح هذا الحديث: أي لما فى الخوض فى الثلاثة من المفاسد التى لا تحصى .

(٨٠) حديث: «أخاف على أمتى بعدى ثلاثة: حيف الأئمة، وإيمان بالنجوم، وتكذيب بالقدر» قال العراقى: أخرجه ابن عبد البر من حديث أبى محجن بسند ضعيف .ا هـ . قال مرتضى: هو من رواية على بن يزيد الصداثى، حدثنا أبو سعيد البقال عن أبى محجن قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال . . . فذكره، وأخرجه ابن عساكر كذلك من طريقه، وأبو محجن اسمه عمرو بن حبيب الثقفى فارس شاعر صحابى، والرواية: إيمانا وتكذيبا بالنصب فيهما، وإنما نكر إيمانا ليفيد الشيوع فيدل على التحذير من التصديق بأى شىء كان من ذلك جزئيا أو كليا مما كان من أحد فسمى علم النجوم وهو علم التأثير لا التسيير فإنه غير ضار كما تقدم، وأخرج الطبرانى من حديث أبى أمامة رفعه « إن أخوف ما أخاف على أمتى فى آخر زمانها: النجوم، وتكذيب بالقدر، وحيف السلطان » وأخرج أحمد والبزار وأبو يعلى والطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث جابر بن سمرة بلفظ « ثلاثًا أخاف على أمتى: استسقاء بالأنواء، وحيف السلطان، وتكذيب بالقدر» وأخرج أبو يعلى فى مسنده وابن عدى فى الكامل والخطيب فى كتاب النجوم عن أنس بسند حسن « أخاف على أمتى بعدى خصلتين: تكذيبًا بالقدر، وتصديقًا بالنجوم» ومن شواهد الحديثين ما أخرجه الديلمى فى الفردوس وابن حصرى فى أماليه عن عمر بن الخطاب مرفوعا «لا تسألوا عن النجوم، ولا تماروا فى القدر ولا تفسروا القرآن برأيكم ولا تسبوا أحدًا من أصحابى، فإن ذلك الإيمان المحض»، هكذا أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير، قلت: وأخرجه الخطيب فى ذم النجوم من حديث إسماعيل بن عباس عن النجترى بن عبيد عن أبيه عن أبى ذر عن عمر موقوفا، كذا فى شرح ابن الملقن على البخارى .

والعالم الراسخ هو الذى يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى، ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس، وهى تنظر إلى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم، ولا تترقى فى نظرها إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاتب القادر المريد ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة، فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النهى عن النجوم.

وثانيها: أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك فى حق آحاد الأشخاص لا يقينًا ولا ظنًا، فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم فلقد كان ذلك معجزة لإدريس عليه السلام فيما يحكى، وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق، وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع على حقائقها، فإن اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة، وإن لم يقدر أخطأ، ويكون ذلك كتخمين الإنسان فى أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم، وربما يكون بخلافه، ومجرد الغيم ليس كافيا فى مجىء المطر وبقية الأسباب لا تُدرى. وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة فى الرياح، ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها، فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطئ، ولهذه العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا.

وثالثها: أنه لا فائدة فيه، فأقل أحواله أنه خوض فى فضول لا يغنى، وتضييع العمر الذى هو أنفس بضاعة الإنسان فى غير فائدة، وذلك غاية الخسران. « فقد مر رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه، فقال: « ما هذا » ؟ فقالوا : رجل علامة، فقال : « بماذا »؟

قالوا: بالشعر وأنساب العرب، فقال: « علم لا ينفع وجهل لا يضر »(٨١).

وقال ﷺ : « إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة »(٨٢) فإذًا الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فإن ما قدر كائن والاحتراز منه

---

(٨١) حديث: « مر رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه، فقال: « ما هذا » ؟ قالوا: رجل علامة، فقال: « بماذا » ؟ فقالوا: بالشعر وأنساب العرب، فقال: « علم لا ينفع وجهل لا يضر » قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه، وفي آخر الحديث: « إنما العلم آية محكمة ... » إلخ .اهـ . قال مرتضى: وقال ابن عبد البر نفسه: لعمري لم ينصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر، قال المناوي: وكأنه لم يطلع على كونه حديثًا، أو رأى فيه قادحًا يقتضي الرد. قلت: كيف يقال إنه لم يطلع على الحديث وهو الذي خرجه من حديث أبي هريرة ؟ فالوجه هو القول الثاني الذي ذكره، وأخرج الرشاطي من طريق ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة « علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر »، وفي القوت: وقد روينا عن رسول الله ﷺ من طريق مرسل أنه مر برجل والناس مجتمعون عليه فقال: « ما هذا » ؟ فقالوا: رجل علامة، قال: « بماذا » ؟ قالوا: بالشعر والأنساب وأيام العرب فقال: « هذا علم لا يضر جهله »، وفي لفظ آخر: « علم لا ينفع وجهل لا يضر » وأخرج الإمام أحمد في مسنده والترمذي في البر والصدقة والحاكم عن أبي هريرة رفعه: « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منساة في الأثر »، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وقال الهيثمي: رجال أحمد وثقوا، وقال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث له طرق أقواها ما أخرجه الطبراني من حديث العلاء بن خارجة، وجاء هذا عن عمر أيضًا ساقه ابن حزم بإسناد رجاله موثقون إلا أن فيه انقطاعا .اهـ . قلت: وأخرجه ابن زنجويه من حديث أبي هريرة « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا، وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا »، وبهذا يظهر الجمع بين الحديثين وأن محل النهي إنما هو في التوغل فيه والاسترسال بحيث يشتغل به عما هو أهم منه، وفي التخريج الكبير للعراقي: رواه أبو نعيم في رياضة المتعلمين من رواية بقية عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة وفيه: أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى جمعًا من الناس على رجل فقال: « ما هذا » ؟ قالوا: يا رسول الله رجل علامة، قال: « وما العلامة » ؟ قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بالشعر وما اختلفت فيه العرب، فقال: « هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر »، ثم قال: « العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة » .اهـ .

(٨٢) حديث: « إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو، وقد رواه ابن عبد البر مع الحديث السابق عن أبي هريرة، قاله العراقي . قال مرتضى: وفي تجريد الصحاح لرزين من طريق النسائي عن ابن عمرو رفعه « العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل: آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » وفي القوت: ويروى:=

غير ممكن، بخلاف الطب فإن الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه، وبخلاف التعبير وإن كان تخمينا لأنه جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة (٦) ولا خطر فيه.

السبب الثالث: الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طريق بعضها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم إلى ما نطق به الشرع ففي ذلك مقنع للموفق، فكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه، ولا ينكر كون العلم ضاراً لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع، بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور، فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال: لا حاجة لك إلى دواء الولادة فإنك ستموتين إلى أربعين يوماً وقد دل النبض عليه، فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت، فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له: لم تمت! فقال الطبيب: قد علمت ذلك فجامعها الآن فإنها تلد، فقال: كيف ذاك؟ قال: رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت

= العلم ثلاثة: آية محكمة، وسنة قائمة، ولا أدري» وأخرجه أبو نعيم في رياضة المتعلمين بمثل رواية النسائي، تقدم قريبا قبل هذا وهو آخر الحديث، ورواه كذلك أبو داود وابن ماجه، كما تقدم عن العراقي من رواية عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن ابن عمرو، ورواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الكتاب المذكور من رواية إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن ابن زياد عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمرو. قال العراقي: وقد ورد موقوفا على ابن عمر نحوه، رواه الطبراني في الأوسط من رواية حصين عن مالك عن نافع عن ابن عمرو، رواه الدارقطني من رواية عمر بن عصام عن مالك عن نافع عن ابن عمر: «العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري». وأخرجه الخطيب أيضا هكذا وقال: تابعه أبو طاهر محمد بن موسى المقدسي وأبو حذافة السهمي قال: وخالفهم سعيد بن داود الزبيري، فرواه عن مالك عن داود بن الحصين عن طاوس عن ابن عمر، قلت: ويحتمل أن المصنف أوردهما على أنه حديث واحد فإنه عقبه بقوله: والله أعلم.

وزال المانع من الولادة. فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله ﷺ : « نعوذ بالله من علم لا ينفع »(٨٣). فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثًا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها، ولازم الاقتداء بالصحابة ﷺ، واقتصر على اتباع السنة، فالسلامة فى الإتباع والخطر فى البحث عن الأشياء والاستقلال، ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك أنى أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هى عليه فأى ضرر فى التفكر فى العلم، فإن ما يعود عليك من ضرره أكثر، وكم من شىء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررًا يكاد يهلكك فى الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته، واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار فى المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب و العلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك. فكم من شخص يصيبه عارض فى أصبعه فيقتضى عقله أن يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن، فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن، فهكذا الأمر فى طريق الآخرة وفى دقائق سنن الشرع وآدابه وفى عقائده التى تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست فى سعة العقل وقوّته الإحاطه بها كما أن فى خواص الأحجار أمورًا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذى به يجذب المغناطيس الحديد، فالعجائب والغرائب فى العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقى إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما فى الأدوية والعقاقير، وكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها، فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع فى حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرقة إليها وإنما كانت التجربة تتطرق إليها لو رجع إلينا بعض

---

(٨٣) حديث: « نعوذ بالله من علم لا ينفع» أخرجه ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن، وهو عند ابن ماجه بلفظ: « تعوذوا بالله . . . » كما تقدم، **قاله العراقى . وقال مرتضى**: وفى القوت: والخبر المشهور قوله ﷺ : «أعوذ بك من علم لا ينفع»، فسماه علمًا إذ له معلوم، وإذ أصحابه علماء، ثم رفع المنفعة عنه واستعاذ بالله عز وجل .ا هـ . وفى الباب عن زيد بن أرقم وأبى هريرة وعبد الله بن عمر وأنس وابن مسعود وابن عباس، وقد تقدم فى أحاديث الخطبة .

الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة إلى الله تعالى زلفى وعن الأعمال المبعدة عنه، وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي ﷺ ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام. ولذلك قال ﷺ: « **إن من العلم جهلا، وإن من القول عيًا** » [٨٤] ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الإضرار.

وقال ﷺ: « **قليل من التوفيق خير من كثير من العلم** » [٨٥] وقال عيسى عليه السلام: ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر، وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع.

---

(٨٤) حديث: « إن من العلم جهلا وإن من القول عيالا » **قال العراقي**: أخرجه أبو داود من حديث بريدة وفي إسناده من يُجهل. اهـ. **قال مرتضى**: أخرجه في الأدب من حديث أبي جعفر عبد الله بن ثابت عن صخر بن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن جده بريدة بن الخصيب، قال عبد الله: بينما هو - يعني بريدة - جالس بالكوفة في مجلس مع أصحابه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من البيان سحرا، وإن من العلم جهلا، وإن من الشعر حكما، وإن من القول عيالا»، وفي القوت: وروينا في خبر « إن من العلم جهلا، وإن من القول عيًا »، قلت: وقد يروى من حديث عليّ أخرجه الهروي في ذم الكلام وفيه زيادة وقد وجد في بعض نسخ الكتاب: عيا بدل عياله، كما هو نص القوت.

(٨٥) حديث: « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم» **قال العراقي**: لم أجد له أصلا، وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء وقال: العقل بدلا من العلم، ولم يخرجه ولده في مسنده. اهـ. **قال مرتضى**: وأخرجه ابن عساكر عن أبي الدرداء بمثل ما في الفردوس، وزاد: والعقل في أمر الدنيا حقرة والعقل في أمر الدين مسرة، وروى الطبراني عن ابن عمر: وقليل الفقه خير من كثير من العبادة، وكفى بالمرء فقها إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه. وأورد ابن عبد البر كذلك في العلم وأبو نصر السجزي في الإبانة، وقال: غريب عن ابن عمرو، وأخرج البخاري في التاريخ عن ابن عمر، وأبو موسى المديني في المعرفة عن رجاء غير منسوب: قليل من العلم خير من كثير من العبادة، تبع المصنف صاحب القوت فإنه أورده هكذا وزاد: وفي خبر غريب « كل شيء يحتاج إلى العلم، والعلم يحتاج إلى التوفيق » .

بيان ما بدل من ألفاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول، وهي خمسة ألفاظ: الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة، فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين، ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم.

اللفظ الأول: الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها، فمن كان أشد تعمقًا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه، ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقًا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب، ويدلك عليه قوله عز وجل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٢٢) وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والإجارة، فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٧٩) وأراد به معاني الإيمان دون الفتاوى، ولعمري إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد، وإنما يتكلم في عادة الاستعمال به قديمًا وحديثًا، قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ (الحشر: ١٣) فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه، فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم التحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم. وقال ﷺ: «علماء حكماء فقهاء»(٨٦) للذين وفدوا عليه، وسئل سعد بن إبراهيم

---

(٨٦) حديث: «علماء حكماء فقهاء» قاله للذين وفدوا عليه، وفي نسخة: قدموا عليه». قال العراقي: أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث=

الزهري رحمه الله: أي أهل المدينة أفقه؟ فقال: أتقاهم لله تعالى، فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه، والتقوى ثمرة العلم الباطني دون الفتاوى والأقضية.

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه»، قالوا: بلى، قال: «من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه» (٨٧).

بإسناد ضعيف. اهـ. قال مرتضى: وكذا أبو موسى المديني في كتابه في الصحابة الذي ذيل به على ابن منده كلهم من رواية علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي، حدثني أبي عن جدي سويد بن الحرث قال: وفدت على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي فلما دخلنا عليه وكلمنا أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال: «ما أنتم»؟ قلنا: مؤمنون، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم»؟ قال سويد: قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئا، فقال رسول الله ﷺ: «وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها»؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، قال: «وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها»؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نقول لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا. قال: «ما الخمس التي تخلقتم بها أنتم في الجاهلية»؟ قلنا: الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والصدق في مواطن اللقاء والرضا بمر القضاء والصبر عند شماتة الأعداء، فقال النبي ﷺ: «علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء»، وفي مشيخة الأنصاري فقال: «أدباء حلماء عقلاء فقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء»، وقال الحافظ ابن حجر: هو في كتاب المعرفة لأبي نعيم من رواية أبي سليمان الداراني عن زاهد بالشام سماه عن أبيه عن جده سويد اهـ وقال مرتضى: كذلك قال الذهبي في الميزان: علقمة بن يزيد بن سويد عن أبيه عن جده لا يعرف، وأتى بخبر منكر لا يحتج به، فلينظر.

(٨٧) حديث: «ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه»، قالوا: بلى، قال: «من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه» قال العراقي: أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق، وأبو بكر بن السني في رياضة المتعلمين، وابن عبد البر في العلم من حديث علي كلهم من طريق ابن وهب قال: أخبرني عقبة ابن نافع عن إسحق بن أسيد عن أبي مالك وأبي إسحق عن علي رفعه، وقال ابن عبد البر: أكثرهم يوقفونه على علي ولم يرو مرفوعا إلا بهذا الإسناد. اهـ. قال مرتضى: وفي رواية الثلاثة تقديم: لم يؤيسهم على لم يؤمنهم، مع زيادة في آخره وهي، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا في علم ليس فيه تفهم، ولا في قراءة ليس فيها تدبر» وهكذا هو في الفردوس بتلك الزيادة.

ولما روى أنس بن مالك : قوله ﷺ : « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلىّ من أن أعتق أربع رقاب » [(٨٨)] قال: فالتفت إلى زيد الرقاشي وزياد النميري وقال: لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردًا، إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين، ونعد نعم الله علينا تفقها. فسمّى تدبر القرآن وعدّ النعم تفقهًا.

قال ﷺ : « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، وحتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة » [(٨٩)] وروى أيضًا موقوفًا على أبي الدرداء ﷺ مع قوله : ثم يقبل على نفسه

---

(٨٨) حديث: « لأن اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلىّ طلوع الشمس أحب إلىّ من أن أعتق أربع رقاب» أخرجه أبو داود بإسناد حسن، قاله العراقي . قال مرتضى: تبع المصنف صاحب القوت في سياقه والحافظ العراقي سكت عليه، وعزاه بهذا السياق إلى أبي داود والذى في سننه من رواية موسى بن خلف عن قتادة عن أنس رفعه « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلىّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلىّ من أن أعتق أربعة »، وموسى بن خلف العمى قال فيه ابن مغيث: ضعيف، وقال مرة: لا بأس به. ورواه أيضا هكذا أبو نعيم في المعرفة والبيهقي في السنن والضياء المقدسى في المختارة كلهم عن أنس، وأخرج أبو يعلى الموصلي في سننه وفيه: لأن أقعد مع أقوام بدل قوم، وفيه زيادة: دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفا، في الموضعين. وأخرج أبو داود الطيالسى في مسنده وابن السنى في عمل يوم وليلة والبيهقي في السنن عن أنس أيضا بلفظ « لأن أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس، ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلىّ من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد اثنا عشر ألفا» كذا في الجامع الكبير، ورواه ابن السنى في رياضة المتعلمين والخطيب في الفقيه والمتفقة نحوه، وفيه: كلهم مسلم، وليس عندهما ذكر الدية، وفي الباب عن الحسن بن على وسهل بن سعد والعباس ابن عبد المطلب وابن عمر وابن عمرو وعتبة بن عبد الله وعلى وعمر بن الخطاب ومعاذ بن أنس وأبي أمامة وأبي هريرة وعائشة سيأتي ذكرها حيث ذكرها المصنف في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(٨٩) حديث: « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة» قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر من رواية عبد الله بن أبي مريم حدثنا عمرو بن أبي سلمة التنيسي، حدثنا صدقة بن عبد الله عن إبراهيم بن أبي بكر عن أبان بن أبي عياش عن أبي قلابة عن شداد بن أوس وقال: لا يصح مرفوعا .اهـ . قال مرتضى: وهذا أورده الخطيب في=

فيكون لها أشد مقتًا. وقد سأل فرقد السنجي الحسن عن شيء فأجابه، فقال: إن الفقهاء يخالفونك، فقال الحسن رحمه الله : ثكلتك أمك فريقد، وهل رأيت فقيهًا بعينك، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم. ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى.

ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة، ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر، فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والإعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب، ووجدوا على ذلك معينًا من الطبع فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر، فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع.

اللفظ الثاني: العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه، حتى أنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أعشار العلم. فعرَّفه بالألف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه.

وقد تصرفوا فيه أيضًا بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها، فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم، وهذا أيضا تصرف بالتخصيص، ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته، وقد صار الآن مطلقًا على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره، وصار ذلك سببا مهلكًا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم.

= المتفق والمفترق من حديث شداد أيضًا ولفظه: « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، وحتى لا يكون أحد أمقت إليه من نفسه» .

اللفظ الثالث : التوحيد ، وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول، بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابًا من الجدل والمماراة، فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلومًا للكل، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله، فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل، ومن ثمراته أيضًا ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم، والرضا والتسليم لحكم الله تعالى، وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصديق ﷺ لما قيل له في مرضه: أنطلب لك طبيبًا ؟ فقال : الطبيب أمرضني. وقول آخر لما مرض، فقيل له : ماذا قال الطبيب في مرضك ؟ فقال : قال لي: إني فعال لما أريد. وسيأتي في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك.

والتوحيد جوهر نفيس، وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة القشر وأهملوا اللب بالكلية، فالقشر الأول هو أن تقول بلسانك : لا إله إلا الله، وهذا يسمى توحيدًا مناقضًا للتثليث الذي صرح به النصارى، ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره، والقشر الثاني ألا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به، وهو توحيد عوام الخلق، والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة.

والثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط، وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره، ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده، قال تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ (الفرقان: ٤٣)

وقال ﷺ: «أبغض إله عُبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى»(٩٠) وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه، إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى.

ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم، فإن من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره، فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين، فانظر إلى ماذا حول وبأي قشر قنع منه، وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي، وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا» وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص، فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات، والكعبة ليست جهة للذي فطر السماوات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجها إليه تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب، ومتوجه بالكلية إليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السماوات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد، فالموحد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه، وهو امتثال قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام: ٩١) وليس المراد به القول باللسان فإنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى، وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه.

اللفظ الرابع: الذكر والتذكير، فقد قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥)

---

(٩٠) حديث: «أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى». قال العراقي: أخرجه الطبراني من رواية إسماعيل بن عياش عن الحسن بن دينار عن الخطيب بن جحدر عن راشد بن سعد عن أبي أمامة رفعه بلفظ: «ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع» ورواه أبو نعيم في الحلية من رواية بقية عن عيسى بن إبراهيم عن راشد، وكل من الخطيب وعيسى متروكان. انتهى.

وقد ورد فى الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة :

كقوله ﷺ : « **إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**»، **قيل : وما رياض الجنة ؟ قال : « مجالس الذكر**»(٩١) .

وفى الحديث : « **إن لله تعالى ملائكة سياحين فى الدنيا سوى ملائكة الخلق، إذا رأوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضًا: ألا هلموا إلى بُغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ، ألا فاذكروا الله**

---

(٩١) حديث: « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قيل: وما رياض الجنة؟ قال: « مجالس الذكر » **قال العراقي**: أخرجه الترمذى من حديث أنس وحسنه.ا هـ. **قال مرتضى**: هو من رواية محمد ابن ثابت، حدثنى أبى عن أنس بن مالك وأورده أبو طالب المكى فى القوت والقشيرى فى الرسالة كلاهما من غير سند إلا أن فى سياق الرسالة « إذا رأيتم رياض الجنة » والباقى سواء. وقول العراقى إنه أخرجه الترمذى فنصه فى سننه « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قالوا: وما رياض الجنة ؟ قال: «حلق الذكر» أخرجه هكذا الإمام أحمد فى مسنده والبيهقى فى الشعب كلهم عن أنس، وقال الترمذى: حسن غريب من هذا الوجه وفى حديث ابن عباس فيما أخرجه الطبرانى فى الكبير من رواية مجاهد عنه، وفيه: قال مجالس العلم » قال الهيثمى: فيه رجل لم يسم، أى قول الحرث بن عطية أحد رواته: حدثنا بعض أصحابنا عن أبى نجيح عن مجاهد، وفى حديث أبى هريرة فيما أخرجه الترمذى فى الدعوات من رواية حميد المكى أن عطاء بن أبى رباح حدثه عنه وقال غريب، وفيه: قيل: وما رياض الجنة ؟ قال: المساجد قيل: وما الرتع ؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وقال القشيرى فى رسالته: أخبرنا أبو الحسين على بن بشر ببغداد أخبرنا أبو على الحسين بن صفوان حدثنا ابن أبى الدنيا حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا إسماعيل بن عياش عن عثمان بن عبد الله أن خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « يا أيها الناس ارتعوا فى رياض الجنة »، قلنا: يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال: « مجالس الذكر »، قلت: وأخرجه هكذا البزار وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك من رواية عمر بن عبد الله مولى ظفرة، قال: سمعت أيوب بن خالد بن صفوان يقول: قال جابر: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فى الأرض فارتعوا فى رياض الجنة» قالوا: وأين رياض الجنة قال: مجالس الذكر فاغدوا وروحوا فى ذكر الله وذكروه أنفسكم » الحديث. ثم إنه فسر الرياض تارة بحلق الذكر وتارة بمجالسه وتارة بحلق العلم ومجالسه وتارة بالمساجد ولا مانع من إرادة الكل وإنه إنما ذكر فى كل حديث بعضها لأنه خرج جوابًا عن سؤال معين فأجاب كلا بما يليق بحال سؤاله، وقال السيوطى فى تحذير الخواص: وأخرج الخطيب عن ابن مسعود رفعه « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، أما إنى لا أعنى حلق القصاص ولكن أعنى حلق الفقه » قلت: هو فى كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب، وبمثل هذا روى عن عبد الله بن عمر، وابن عمرو.

وذكروا أنفسكم» [٩٢] فنقل ذلك إلي ما ترى أكثر الوعاظ فى هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات ، أما القصص فهى بدعة ، وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصاص » ، وقالوا : لم يكن ذلك فى زمن رسول الله ﷺ ولا فى زمن أبى بكر ولا عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص [٩٣]

---

(٩٢) حديث: « إن لله تعالى ملائكة سياحين فى الهواء سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضًا: ألا هلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون، ألا فاذكروا الله تعالى وذكروا بأنفسكم » وفى نسخة: واذكروا بأنفسكم، قال العراقى: متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله: سياحين في الهواء، وللترمذى: سياحين فى الأرض، وقال مسلم: سيارة. اهـ. قال مرتضى: أخرجه صاحب القوت بلا سند ولفظه كلفظ المصنف إلا أنه قال: «فضلا عن كتاب الخلق إذا رأوا مجالس الذكر تنادوا بعضهم بعضًا»، وفيه: « فيأتونهم حتى يجلسوا إليهم فيحفون بهم ويستمعون منهم » والباقى سواء، وأخرج البخاري من رواية الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة، قال الترمذى: أو عن أبى سعيد الخدرى، وقال البخارى: رواه شعبة عن الأعمش ولم يرفعه ورواه سهل عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعًا ورواه مسلم من هذا الوجه، وليس فى الصحيحين ولا عند الترمذى ما ذكره المصنف فى آخر هذا الحديث، وقد تقدم فى الحديث الذى قبله حديث جابر ولفظه « فاغدوا وروحوا فى ذكر الله وذكروه بأنفسكم» وأخرج البيهقى فى الشعب وابن ماجه من حديث أبى هريرة بأتم من هذا بلفظ « إن لله ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس يطوفون فى الكون يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادى؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول: هل رأونى؟ فيقولون: لا والله، فيقول: كيف لو رأونى، فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك تسبيحًا، فيقول: فما يسألونى؟ فيقولون: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها لكانوا أشد لها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة، قال: ممّ يتعوذون ؟ فيقولون: من النار، فيقول الله: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة، فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم لا يشقى جليسهم، كذا فى الذيل للسيوطى وأخرجه السهروردى هكذا فى عوارف المعارف من طريق الحافظ أبى نعيم من حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة، وأخرج البزار من رواية زائدة بن أبى الرقاد عن زياد النميرى عن أنس رفعه « إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر » الحديث.

(٩٣) حديث: « وقالوا لم يكن ذلك » أي القص « فى زمن رسول الله ﷺ ولا فى زمن أبى بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص ». هكذا أورده الطرطوشى فى جامعه،=

وروي أن ابن عمر رضي الله عنه خرج من المسجد فقال: ما أخرجني إلا القاص ولولاه لما خرجت»(٩٤)، وقال ضمرة: قلت لسفيان الثوري: نستقبل القاص بوجوهنا؟ فقال: ولّوا البدع ظهوركم، وقال ابن عون: دخلت على ابن سيرين فقال: ما كان اليوم من خبر؟ فقلت: نهى الأمير القصاص أن يقصوا، فقال: وفق للصواب(٦٣).

---

(٦٢) ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول: حدثنا الأعمش، فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه، فقال القاص: يا شيخ ألا تستحي؟ فقال: لِمَ؟ أنا في سنة وأنت في كذب، أنا الأعمش وما حدثتك، وقال أحمد: أكثر الناس كذبا القصاص والسؤال، وأخرج

وقال العراقي: أخرجه ابن ماجه من رواية عبد الله بن عمر بن الحفص العمري عن نافع عن ابن عمر بإسناد حسن. اهـ. قال مرتضى: وهكذا ذكره العراقي أيضا في كتابه الباعث على الخلاص قال: وروى الإمام أحمد والطبراني عن السائب بن يزيد قال: إنه لم يكن يقص على عهد رسول الله ﷺ ولا زمن أبي بكر ولا زمن عمر، هكذا هو في الكتاب المذكور وفي التخريج الكبير للعراقي من رواية الزهري عن السائب فيما أخرجه أحمد والطبراني إلى قوله: ولا زمن أبي بكر ثم قال: وأول من قص تميم الداري استأذن عمر بن الخطاب أن يقص قائما فأذن له. اهـ. قال السيوطي: وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم قالوا: لم يقص في زمان النبي ﷺ ولا زمان أبي بكر ولا زمان عمر وإنما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة. فهذا موقوف على نافع، وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن ابن عمر قال: لم يقص على عهد النبي ﷺ ولا عهد أبي بكر ولا عهد عمر ولا عهد عثمان، إنما كان القصص حين كانت الفتنة. وروى الحاكم في مستدركه عن أبي عامر عبد الله بن يحيى قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة أخبر بقصاص على أهل مكة مولى بني فروخ، فأرسل إليه فقال: أمرت بهذا القصص؟ قال: لا، قال: فما حملك على أن تقص بغير إذن؟ قال: تنشر علما علمناه الله عز وجل، قال معاوية: لو كنت تقدمت عليك لقطعت منك طائفة.

(٩٤) حديث: وروى أن ابن عمر خرج من المسجد وقال: ما أخرجني إلا القاص ولولاه ما خرجت. أخرجه صاحب القوت من طريق الزهري عن سالم عنه وأخرج المروزي من هذا الطريق أن ابن عمر كان يلقى خارجا من المسجد فيقول: ما أخرجني إلا صوت قاصكم هذا، وأخرج أيضا عن سعد بن عبيدة أن ابن عمر قال لقاص يقص عنده: قم عنا فقد آذيتنا، وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن عتبة بن حريث قال: سمعت ابن عمر وجاءه رجل قاص فجلس في مجلسه فقال له ابن عمر: قم من مجلسنا فأبى أن يقوم فأرسل إلى صاحب الشرط فأرسل إليه شرطيا فأقامه، وأخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد أن ابن عمر مر بقاص وقد رفعوا أيديهم فقال: اللهم اقطع هذه الأيدي.

على ﷺ القصاص من مسجد جامع البصرة؛ فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه إذ كان يتكلم فى علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ، ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها، فهذا هو التذكير المحمود شرعًا الذى روى الحث عليه فى حديث أبى ذر ﷺ حيث قال: « **حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة ، وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض، وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة »، فقيل: يا رسول الله، ومن قراءة القرآن؟ قال: وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم» (٩٥)** .

وقال عطاء رحمه الله: مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسًا من مجالس اللهو. فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم، ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا

---

(٩٥) حديث: « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة »، قيل: يا رسول الله ومن قراءة القرآن ؟ قال: « وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم ؟ » هذا الحديث قد تقدم فى أول الكتاب، أخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق عبيدة السلمانى عن عمر، وتقدم الكلام عليه، والذى روى عن أبى ذر بمعناه ولفظه « يا أبا ذر لأن تغدو لتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة » الحديث، هكذا أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير وفى الذيل على الصغير من طريق ابن ماجه والحاكم فى التاريخ، وقال ابن القيم: وذكر ابن عبد البر عن معاذ مرفوعا « لأن تغدو فتعلم بابا من أبواب العلم خير لك من أن تصلى مائة ركعة » ، وهذا لا يثبت رفعه ولكن المصنف تابع فى أكثر ما يورده من الأحاديث صاحب القوت فإنه هكذا أخرجه فى كتابه فقال: وقد روينا حديث أبى ذر فذكره، وفى كتاب الإيمان من موضوعات السيوطى قال الذهبى فى الميزان: الجويبارى ممن يضرب به المثل بكذبه، ومن طاماته عن إسحق بن نجيح الكذاب عن هشام بن حسان عن رجالة « حضور مجلس علم خير من حضور ألف جنازة ومن ألف ركعة ومن ألف حجة ومن ألف غزوة » . ا هـ. **قال مرتضى:** وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه وابن أبى داود فى المصاحف وأبو طالب المكى فى القوت من طريق عون بن موسى عن معاوية بن قرة قال: سألت الحسن: أعود مريضًا أحب إليك أو أجلس إلى قاص ؟ فقال: عد مريضك، قلت: أشيع جنازة أحب إليك أو أجلس إلى قاص ؟ فقال: شيع جنازتك، قلت: وإن استعان بى رجل على حاجة أعينه أو أجلس إلى قاص ؟ قال: اذهب فى حاجتك، حتى جعله خيرًا من مجالس الفراغ. قال صاحب القوت: فلو كانت مجالس الذكر عندهم هى مجالس القصاص، وكان القصص هو الذكر لما وسع الحسن أن يشبط عنه ولا يؤثر عليه كثيرًا من الأعمال، لأن الذاكرين لله تعالى فى أرفع مقاما وحضور مجالس الذكر من مزيد الإيمان.

عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التى تتطرق إليها الإختلافات والزيادة والنقص ، وتخرج عن القصص الواردة فى القرآن وتزيد عليها، فإن من القصص ما ينفع سماعه ، ومنها ما يضر ، وإن كان صدقًا ، ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار؛ فمن هذا نهى عنه ، ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أحوج الناس إلى قاصّ صادق؛ فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم ، وكان القاص صادقًا صحيح الرواية فلست أرى به بأسًا، فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها، أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطى عليها، فإن العامى يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرًا فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر ، فكلنا بصدد المعاصي فلا غرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر منى، ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدرى ، فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به، وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح فى الكتب الصحيحة من الأخبار . ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق، فهذه من نزغات الشيطان؛ فإن فى الصدق مندوحة عن الكذب، وفيما ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ غنية عن الاختراع فى الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعدّ ذلك من التصنع .

قال سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع : هذا الذى يبغضك إلىّ لا قضيتُ حاجتك أبدًا حتى تتوب ، وقد كان جاءه فى حاجة .

وقد قال ﷺ لعبد الله بن رواحة فى سجع من ثلاث كلمات : « **إياك والسجع يا ابن رواحة** »(٩٦) فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ، ولذلك لما قال الرجل فى

---

(٩٦) حديث: « إياك والسجع يا ابن رواحة »، **قال العراقى**: لم أجده مرفوعًا ولأحمد وأبى يعلى وابن السنى وأبى نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين بإسناد صحيح من رواية الشعبى عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لكاتب: « إياك والسجع ، فإن النبى ﷺ وأصحابه كانوا لايسجعون » زاد ابن السنى بعد قولها: إياك والسجع لا تسجع ورواه ابن حبان فى صحيحه من رواية الشعبى عن ابن أبى السائب قاضى أهل المدينة قال: قالت عائشة: فذكر كلاما لها وفيه: واجتنب السجع من الدعاء فإنى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه يكرهون ذلك. وروى البخارى من=

دية الجنين : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل ، فقال النبى ﷺ : « أسجع كسجع الأعراب ؟ » (٩٧) .

= رواية عكرمة عن ابن عباس قال: « حدث الناس كل جمعة مرة فذكر الحديث وفيه: « وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإنى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك. ا هـ. وفى القوت: ومما أحدثوا: السجع فى الدعاء والتغريب فيه وما لم يرد الكتاب به ولا نقل عن رسول الله ﷺ ولا الصحابة بل كانوا ينهون عن الاعتداء فى الدعاء، وروينا عن رسول الله ﷺ إياكم والسجع فى الدعاء، بحسب أحدكم أن يقول: اللهم إنى أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وسمع عبد الله بن مغفل ابنه يدعو بما يعمق فيه فقال: يا بنى، إياك والحديث، وإياك والاعتداء.

(٩٧) حديث: « أسجع كسجع الأعراب » وهم أهل البادية وكانوا يستعملون الأسجاع فى كلامهم، قال العراقى: ورد من حديث المغيرة بن شعبة وأبى هريرة وابن عباس وجابر وأسامة بن عمير الهذلى وحمل بن مالك وعويم بن ساعدة الهذلى ﷺ، أما حديث المغيرة فرواه مسلم وأبو داود والنسائى من رواية عبيد بن فضيلة الخزاعى عن المغيرة بن شعبة قال: ضربت امرأة ضرتها بعمود فسطاط، فذكر الحديث، وفيه: فقال رجل من عصبة القاتلة: أنغرم دية من لا أكل ولا شرب ولا استهل فمثل ذلك يطل، الحديث بلفظ مسلم، وفى رواية له: أندى من لا طعم ولا شرب ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل الحديث، وأصل الحديث عند البخارى والترمذى وابن ماجه مختصراً دون ذكر السجع المذكور، وأما حديث أبى هريرة فرواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من رواية ابن شهاب عن ابن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة ﷺ قال: « اقتتلت امرأتان من هذيل. . . الحديث، وفيه: فقال حمل بن النابغة الهذلى: يا رسول الله، كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يطل، فقال رسول الله ﷺ : « إنما هذا من إخوان الكهان » من أجل سجعه الذى سجع، لفظ مسلم ولم يسم البخارى الرجل إنما قال: فقال ولى المرأة، ولم يقل « من أجل سجعه الذى سجع. قال مرتضى: وأخرجه مسلم أيضًا من رواية معمر عن الزهرى ففيه: « فقال قائل كيف نفعل. ولم يسم حيمل بن مالك. ا هـ. ثم قال العراقى: ورواه الترمذى وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة ففيه: فقال الذى قضى عليه: أنعطى من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل فمثل ذلك يطل، فقال النبى ﷺ : إن هذا ليقول بقول الشاعر، وأما حديث ابن عباس فرواه أبو داود والنسائى من رواية أسباط عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: كانت امرأتان جارتان كان بينهما صخب الحديث وفيه: فقال أبو القاتلة: إنه والله ما استهل ولا شرب ولا أكل فمثله يطل، فقال النبى ﷺ : أسجع الجاهلية وكهانتها إن فى الصبى غرة، قال ابن عباس: كانت إحداهما مليكة والأخرى أم عفيف، لفظ النسائى، ولم يقل أبو داود: ولاأكل وقال فيه عن ابن عباس فى قصة حمل فأدخله المزى فى الأطراف فى حديث حمل ولم يذكره فى حديث ابن عباس وليس بجيد، وأما حديث جابر فرواه أبو يعلى فى مسنده من رواية مجالد بن سعيد قال: حدثنى الشعبى عن جابر أن امرأتين من هذيل قتلت إحداهما الأخرى=

وأما الأشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم، قال الله تعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٢٤ ، ٢٢٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ (يس:٦٩) .

وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق، والمجلس لا يحوى إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها، فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون ، وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس ، وقد قال ﷺ : «إن من الشعر لحكمة » (٩٨)، ولو حوى المجلس

= الحديث، وفيه: فخاف عاقلة القاتلة أن يضمنهم قال: فقالوا: يا رسول الله لا شرب ولا أكل ولاصاح فاستهل، فقال رسول الله ﷺ : أسجع الجاهلية، والحديث عند أبى داود وابن ماجه وليس فيه ذكر السجع المذكور،وأما حديث أسامة بن عمير وهو والد أبى المليح فرواه الطبرانى بإسناد جيد من رواية أيوب قال: سمعت أبا المليح عن أبيه وكان قد صحب رسول الله ﷺ قال: كانت فينا امرأتان ضربت إحداهما الأخرى. . . الحديث وفيه: فقال رجل من أهل القاتلة: كيف نعقل يا رسول الله من لا أكل ولا شرب ولا صاح فاستهل، فمثل ذلك يطل، فقال رسول الله ﷺ . . .

(٩٨) حديث: « إن من الشعر لحكمة » قال العراقى: رواه البخارى من حديث أبىّ بن كعب. ا هـ، قال مرتضى: وكذا الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه كلهم من رواية عبد الرحمن بن الأسود أن أبىّ بن كعب أخبره بلفظ « إن من الشعر حكمة » وأخرجه أبو القاسم الحسين بن محمد بن إبراهيم الحنائى في جزء له من طريق هشام بن عروة عن جده عن أبيه الزبير رفعه وذكره الدارقطنى فى العلل فقال: يرويه شيخ يعرف بعبد الملك بن محمد البلخى عن أبى بزة عن هشام قال: ووهم فيه، ورواه الشافعى مرسلا عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، ورواه الترمذى وأبو يعلى من رواية عاصم عن أبى النجود عن زر عن ابن مسعود، وقال الترمذى: غريب من هذا الوجه، إنما رفعه أبو سعيد الأشج عن ابن عيينة وروى غيره عنه موقوفا، رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من رواية سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ «إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكما » قال الترمذى: حسن صحيح، وفى أوله قصة عند أبى داود ورواه ابن حبان فى صحيحه بلفظ: حكمة، وفى الباب عن بريدة وعبد الله بن عمرو وابن عمر وأبى بكرة وأبى موسى وعائشة وأنس وعمرو بن عوف.

الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضر معهم الشعر الذى يشير ظاهره إلى الخلق فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه، كما سيأتى تحقيق ذلك فى كتاب السماع، ولذلك كان الجنيد - رحمه الله - يتكلم على بضعة عشر رجلا فإن كثروا لم يتكلم ، وما تم أهل مجلسه قط عشرين ، وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له : تكلم فقد حضر أصحابك، فقال: لا ، ما هؤلاء أصحابى ؛ إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابى هم الخواص .

وأما الشطح فنعنى به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية .

أحدهما : الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب ، فيقولون : قيل لنا كذا ، وقلنا كذا ، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذى صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: أنا الحق، وبما حكي عن أبى يزيد البسطامى أنه قال : سبحانى سبحانى ، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام ، حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع؛ إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ،ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا : هذا إنكار مصدره العلم والجدل، والعلم حجاب ، والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار فى البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره، حتى من نطق بشىء منه فقتله أفضل فى دين الله من إحياء عشرة . وأما أبو يزيد البسطامى رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله - عز وجل - فى كلام يردده فى نفسه كما لو سمع وهو يقول : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ (طه: ١٤) . فإنه ما كان ينبغى أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية .

الصنف الثانى: من الشطح :كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل، وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش

فى خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر ، وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالألفاظ الرشيقة ، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان ، أو يحمل على أن يفهم منها معانى ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه ، وقد قال ﷺ : « **ما حدّث أحدكم قومًا بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم** » (٩٩) وقد قال ﷺ : « **كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله** » (١٠٠)، وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله ، فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره.

---

(٩٩) وقد قال ﷺ : « ما حدّث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم » **قال العراقى:** أخرجه العقيلى فى الضعفاء وابن السنى وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف، ولمسلم فى مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود نحوه وقال فى التخريج الكبير: رواه أبو نعيم فى رياضة المتعلمين من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عثمان ابن داود عن عكرمة عن ابن عباس رفعه بلفظ « ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة » وقد اختلف فيه عن ابن ثوبان فقال ابن السنى فى رياضة المتعلمين والعقيلى فى تاريخ الضعفاء: من طريق ابن ثوبان قال: حدثنى عثمان بن داود عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله ما نسمع منك نحدث به كله ؟ قال: « نعم، إلا أن تحدث قوما لا تضبطه عقولهم فتكون على بعضهم فتنة » قال: ورواه ابن السنى أيضًا فى الكتاب المذكور من رواية عباد بن كثير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رفعته « من حدث بحديث لا يعلم تفسيره لا هو ولا الذى حدثه فإنما هو فتنة عليه وعلى الذى حدثه » ثم قال: وإنما يصح هذا الحديث موقوفا على ابن مسعود كما رواه مسلم فى مقدمة صحيحه من رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن مسعود بن عتبة قال. . فساقه كسياق حديث ابن عباس بعينه.

(١٠٠) وقال ﷺ : « كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله»، **قال العراقى:** أخرجه البخارى موقوفا على علىّ، وهو الصواب، بلفظ: حدثوا الناس. . والباقى سواء، وهكذا رواه البيهقى فى المدخل بتقديم أتريدون على حدثوا، ورفعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم، وسيأتى فى آخر الباب الخامس من حديث ابن عمر موقوفًا: «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم، أى قدر ما تحتمله عقولهم، وهو شاهد جيد ويأتى الكلام عليه هنالك. ا هـ. وقد ورد ما يقاربه من حديث المقدام مرفوعا رواه البيهقى فى المدخل بلفظ: إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يغرب عنهم ويشق عليهم. وعند ابن عدى فى الكامل: بما يفزعهم.

وقال عيسى عليه السلام : لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء . وفى لفظ آخر : من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل، ومن منعها أهلها فقد ظلم، إن للحكمة حقا وإن لها أهلا فأعط كل ذى حق حقه . وأما الطامّات فيدخلها ما ذكرناه فى الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة، كدأب الباطنية فى التأويلات فهذا أيضًا حرام وضرره عظيم، فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ، فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له، بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى، وهذا أيضًا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الإغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له ، وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم، كما حكيناه من مذاهبهم فى كتاب «المستظهرى» المصنف فى الرد على الباطنية، ومثال أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (طه: ٢٤) . أنه إشارة إلى قلبه، وقال: هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان.

وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ (القصص: ٣١) . أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى أن يلقيه .

وفى قوله ﷺ : « تسحروا فإن فى السحور بركة » (١٠١) أراد به الاستغفار فى الأسحار، وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء، وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعًا كتنزيل فرعون على القلب، فإن

(١٠١) حديث: «تسحروا فإن فى السحور بركة» متفق عليه من حديث أنس عن أبى رهم عن العرباض، وقال ابن عبد البر: هو مجهول ولكن ذكره ابن حبان فى الثقات، وقوله يعنى السحور كأنه مدرج من الراوى، أخرجه كذلك الإمام أحمد وابن حبان من حديث العرباض، وفى الباب عن المقدام بن معدى كرب وعتبة بن عبد وأبى الدرداء وعائشة وعمر بن الخطاب ومعنى المبارك أى الكثير الخير لما يحصل بسببه من قوّة وقدرة على الصوم.

فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له ، وكأبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذلك حمل السحور على الاستغفار ، فإنه كان ﷺ يتناول الطعام (١٠٢)، ويقول : « تسحروا وهلموا إلى الغذاء المبارك» (١٠٣) فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا ، وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك فى أمور لا يتعلق بها الإحساس فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ، ولم ينقل شىء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين عن الحسن البصرى مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ، فلا يظهر لقوله ﷺ : « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » (١٠٤) معنى إلا هذا النمط ، وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحمله عليه عن غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ، ولا ينبغى أن يفهم منه أنه يجب ألا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر ، فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ، ويعلم

---

(١٠٢) حديث : « تناول الطعام فى السحور » البخارى من حديث أنس أن النبى ﷺ وزيد بن ثابت تسحرا .

(١٠٣) حديث : « هلموا إلى الغذاء المبارك » أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان .

(١٠٤) حديث : « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » **قال العراقى:** أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه ، وهو عند أبى داود فى رواية ابن العبد وعند النسائى فى الكبير . ا هـ .
قال مرتضى: أخرجه الترمذى وصححه وابن الأنبارى فى المصاحف والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب كلهم من رواية عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ « من قال فى القرآن بغير علم» بدل قوله « برأيه » وأخرجه أبو داود والترمذى ، وقال : غريب ، والنسائى فى الكبير وابن جرير والبغوى وابن الأنبارى وابن عدى والطبرانى والبيهقى كلهم من رواية سهيل بن أبى حزم القطفى عن ابن عمران الجونى عن جندب بن عبد الله : « من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » ، وفى رواية للترمذى وغيره : « من قال فى كتاب الله » وفى رواية « من تكلم فى القرآن » وفى الباب عن ابن عمر وجابر وأبى هريرة ، فحديث ابن عمر لفظه « من فسر القرآن برأيه فأصاب كتبت عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعتهم » ولفظ حديث جابر « من قال فى القرآن برأيه فقد اتهمنى » ولفظ حديث أبى هريرة « من فسر القرآن برأيه وهو على وضوء فليعد وضوءه » أخرج هؤلاء الثلاثة أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وطرقهن ضعاف بل الأخير منكر جداً .

أن جميعها غير مسموع من النبى ﷺ، فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطًا بحسن الفهم وطول الفكر، ولهذا قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «**اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل**»(١٠٥)، ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخالق يضاهِ من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله ﷺ لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع، كمن يضع فى كل مسألة يراها حقًا حديثًا عن النبى ﷺ، فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله ﷺ: «**من كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»(١٠٦)، بل الشر فى تأويل هذه

---

(١٠٥) حديث: «اللهم فقهه فى الدين» ولم يقل مسلم: فى الدين، وزاد الإمام أحمد فى مسنده والحاكم من رواية عبيد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير «وعلمه التأويل» وقال الحاكم: صحيح الإسناد. **قال العراقى**: ووهم أبو مسعود الدمشقى فى الأطراف حيث عزا للصحيحين هذه الزيادة. **قال مرتضى**: وفى أول حديث هؤلاء زيادة وهى قول ابن عباس: إن النبى ﷺ وضع يده على كتفى أو على منكبى، شك شعبة، ثم قال: اللهم... الحديث، وعند البخارى من رواية عكرمة عنه «ضمنى النبى ﷺ إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة» وفى رواية له «اللهم علمه الكتاب» ورواه ابن ماجه فقال: «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب» والتأويل هو التفسير على ما نقله ثعلب عن ابن الأعرابى، وقال آخرون بالفرق بينهما وقد ذكر قريبا.

(١٠٦) حديث: «من كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» **قال العراقى**: متفق عليه من حديث أبى هريرة وعلى وأنس. اهـ. **قال مرتضى**: هذا الحديث قد روى أيضًا عن الزبير والمغيرة وسلمة ابن الأكوع وعبد الله بن عمرو وابن مسعود وجابر وأبى قتادة وأبى سعيد وأبى بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعيد بن زيد ومعاوية بن أبى سفيان وخالد بن عرفطة وأبى موسى الغافقى وعقبة بن عامر وزيد بن أرقم وقيس بن سعيد وعمران بن حصين والبراء بن عازب وأبى موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل وعمرو بن مرة ونبيط بن شُريط وعمار بن ياسر وعمرو بن عنمة وعمرو ابن حريث وابن عباس وعتبة بن غزوان والعرس بن عميرة ويعلى بن مرة وطارق بن أشيم وسليمان بن خالد الخزاعى وصهيب بن سنان والسائب بن يزيد وأبى أمامة وأبى قرصافة ورافع ابن خديج وأوس بن أوس الثقفى وحذيفة بن اليمان وأبى ميمون جابان وبريدة بن الخصيب وسعد بن الرحاس وعمرو بن عوف والمنقع التميمى وعبد الله بن عمر وأبى كبشة الأنمارى وأبى رافع وواثلة بن الأسقع وأبى الحمراء وأسامة بن زيد ومعاوية بن حيدة وعبد الله بن الزبير وأبى عبيدة بن الجراح وسلمان الفارسى وأبى ذر وحذيفة بن أسيد وعبد الله بن أبى أوفى، وأبى رمثة ويزيد بن أسد وعفان بن حبيب وعائشة وأم أيمن والعباس بن عبد المطلب وسفينة وزيد بن ثابت وكعب بن قطبة وجابر بن عابس وعبد الله بن زغب ووالد أبى العشراء فهؤلاء جميع من عُزى إليهم هذا الحديث بألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربة المعنى، ونحن نسوق لك=

الألفاظ أطم وأعظم لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية، فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعى الخلق عن العلوم المحمودة إلى المذمومة، فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامى، فإن اتبعت هؤلاء اعتمادًا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف فى العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيمًا، فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم فى هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ .

= تفصيل ذلك حسبما استفدته من مقدمة ابن الجوزى وكتاب العراقى، فأما حديث أبى هريرة فأخرجه الشيخان والنسائى من رواية أبى عوانة عن ابن حصين عن أبى صالح عنه ورواه ابن ماجة من رواية محمد بن عمر وعن أبى سلمة عنه بلفظ « من يقول علىّ ما لم أقل » وأما حديث على فرواه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجة من رواية ربعى بن حراش عنه بلفظ: فإنه من يكذب علىّ يلج النار، وقال البخارى « من كذب » ورواه أبو بكر بن الشخير بلفظ الكتاب من رواية ابن أبى ليلى عن على، وحديث أنس أخرجه الشيخان والنسائى من رواية عبد العزيز بن صهيب عنه بلفظ « من تعمد علىّ كذبًا» ورواه الترمذى وابن ماجه من رواية الزهرى عنه وزاد فيه: « حسبته قال متعمدًا، وقال الترمذى بيته بدل مقعده، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه ورواه النسائى من رواية سليمان التيمى عنه بلفظ الكتاب ورجاله رجال الصحيح، وحديث الزبير رواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه من رواية ابنه عبد الله عنه، وحديث المغيرة رواه الشيخان من رواية على بن ربيعة عنه، وحديث سلمة بن الأكوع رواه البخارى عن بكر بن إبراهيم عن يزيد بن أبى عبيد عنه بلفظ: من يقل علىّ ما لم أقل، وهو أحد ثلاثياته، وحديث عبد الله بن عمرو رواه البخارى والترمذى من رواية أبى كبشة السلولى عنه فى أثناء حديث «بلغوا عنى» وقد روى الطبرانى فى الأوسط فى أوله قصة هى سبب له من رواية عطاء بن السائب عن أبيه عن بن عمر وحديث عبد الله بن مسعود رواه الترمذى من رواية عاصم عن زر عنه، ورواه أبو بكر بن الشخير فى العلم من رواية عاصم عن شقيق عنه، ورواه ابن ماجه من رواية سماك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، ورواه البزار من رواية عمرو ابن شرحبيل عنه وزاد فيه: ليضل به الناس، وحديث جابر رواه ابن ماجه من رواية ابن الزبير عنه، وحديث أبى قتادة رواه ابن ماجه من رواية ابن إسحق عن سعيد بن كعب عنه بلفظ: من تقوّل علىّ ما لم أقل، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، ورواه أيضًا من وجه آخر بلفظ الأصل، وحديث أبى سعيد رواه النسائى من رواية عطاء بن يسار عنه، ورواه ابن ماجه من رواية عطية العوفى عنه، وحديث أبى بكر رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط من رواية جارية بن هرم عن عبد الله بن بسر الحيرانى عن أبى كبشة الأنمارى عنه، ورواه ابن الشخير فى كتاب العلم من رواية القاسم بن عبد الله عن ابن المنكدر عن جابر عن عائشة عنه، وفيه رواية صحابى عن صحابى عن صحابى، وحديث عمر بن الخطاب رواه أبو يعلى من رواية دحين بن ثابت اليربوعى، وأبو بكر بن الشخير فى كتاب العلم من رواية عبد الرحمن بن ثابت كلاهما عن أسلم=

اللفظ الخامس : وهو الحكمة ، فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوادية فى شوارع الطرق . والحكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها ، فقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة: ٢٦٩) .

= عنه، وحديث عثمان بن عفان رواه أحمد والبزار وأبو يعلى من رواية محمود بن لبيد عنه، وعند الآخرين من رواية عامر بن سعد عنه بلفظ من قال علىّ ما لم أقل، وحديث طلحة بن عبيد الله رواه أبو يعلى والطبرانى من رواية سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده عن موسى بن طلحة عن طلحة، ورواه الخطيب في التاريخ من رواية محمد بن عمر بن معاوية بن يحيى بن معاوية بن إسحق بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده عن أبيه عن جده، وحديث سعيد بن زيد رواه البزار وأبو يعلى من رواية رباح بن الحرث عنه، وحديث معاوية بن أبى سفيان رواه أحمد والطبرانى من رواية أبى الفيض عنه، وحديث خالد بن عرفطة رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من رواية مسلم مولاه عنه، وحديث أبى موسى الغافقى رواه أحمد والبزار والطبرانى من رواية إسحق بن ميمون الحضرمى عنه بلفظ « من قال علىّ ما لم أقل »، وحديث عقبة بن عامر رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من رواية هشام بن أبى رقبة عنه، ورواه أحمد والطبرانى أيضًا من رواية ابن عشانة عنه، وحديث زيد بن أرقم رواه أحمد والبزار والطبرانى من رواية يزيد بن حبان عنه، ورواه الطبرانى فى الأوسط من رواية موسى بن عثمان الحضرمى عن إسحق عنه، وحديث قيس بن سعد بن عبادة رواه أحمد وأبو يعلى من رواية ابن لهيعة عن ابن هبيرة: سمعت شيخا من حمير أنه سمع قيس بن سعد سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من كذب علىّ كذبة متعمدًا فليتبوأ مضجعًا من النار أو بيتًا فى جهنم »، وحديث عمران ابن حصين رواه الطبرانى من رواية عبد المؤمن بن سالم المسمعى حدثنا هشام عن محمد بن سيرين عنه، وحديث البراء بن عازب رواه أبو يعلى فى مسنده من رواية ابن المقرى من رواية محمد بن عبيد الله الفزارى وهو العزرمى عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عنه، ورواه الطبرانى فى الأوسط من رواية موسى بن عثمان الحضرمى عن أبى إسحق عنه، وعن زيد بن أرقم أيضًا وقد تقدم، وحديث أبى موسى الأشعرى رواه الطبرانى من رواية خالد بن نافع عن سعيد بن أبى بردة عنه، وحديث معاذ بن جبل رواه الطبرانى فى الأوسط والخطيب فى التاريخ من رواية عبد الله بن سلمة عنه، ورواه ابن الشخير من رواية خصيب بن حجدر عن النعمان بن نعيم عن عبد الرحمن بن غنم عنه، وحديث عمرو بن مرة الجهنى رواه الطبرانى من رواية الهيثم بن عدى عن الضحاك بن زميل السكسكى عن أبى أسماء السكسكى عنه، وحديث نبيط بن شريط رواه الطبرانى فى الصغير عن أحمد بن إسحق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط عن أبيه عن أبيه نبيط، وحديث عمار بن ياسر رواه الخطيب فى التاريخ من رواية على بن الحزور عن أبى مريم قال: سمعت عمار بن ياسر يقول لأبى موسى: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: « من كذب علىّ . . . » الحديث، ورواه أبو يعلى والطبرانى بلفظ: ألم تسمع رسول الله ﷺ =

= يقول. . . ، وحديث عمرو بن عبسة رواه الطبراني من رواية محمد بن أبي النوار عن بريد بن أبي مريم عن عدى بن أرطاة عنه، وحديث عمرو بن حريث رواه الطبراني من رواية عبد الكريم بن أبي المخارق عن عامر بن عبد الواحد عنه وزاد فيه: ليضل به، وحديث ابن عباس رواه الطبراني من رواية عبد الأعلى الثعلبي عن سعيد بن جبير عنه، وحديث عتبة بن غزوان رواه الطبراني من رواية غزوان بن عتبة عن أبيه، وحديث العرس بن عميرة رواه الطبراني والبزار وابن عدى في مقدمة الكامل من رواية يحيى بن زهدم عن أبيه زهدم ابن الحرث عنه، وقيل: يحيى عن أبيه عن جده عنه، وحديث يعلى بن مرة رواه الدارمي في مسنده والطبراني وابن عدى من رواية عمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جده، وحديث طارق بن أشيم والد أبي مالك الأشجعي رواه البغوى والطبراني في معجمي الصحابة من رواية خلف بن خليفة عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه طارق بن أشيم وإسناده صحيح، وحديث سليمان بن خالد الخزاعي رواه الطبراني من رواية عبد الله بن محمد ابن الحنفية عنه، وحديث صهيب بن سنان رواه أبو يعلى والطبراني من رواية عمرو بن دينار عن بعض ولد صهيب عنه، ورواه أبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية الدفاع بن دغفل عن عبد الرحمن بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده، وحديث السائب بن يزيد رواه الطبراني من رواية محمد بن يوسف عنه، وحديث أبي أمامة الباهلي رواه الطبراني من رواية شهر بن حوشب عنه بلفظ « من حدث عنى حديثا كذبا متعمداً » ورواه أيضا من رواية محمد بن الفضل بن عطية عن الأحوص ابن حكيم عن مكحول عنه بلفظ «مقعده بين عيني جهنم»، وحديث أبي قرصافة واسمه جندرة بن خيثنة رواه الطبراني من روا ية عزة بنت عياض عنه بلفظ «من كذب عليّ أو قال عليَّ غير ما قلت بُنى له بيت في جهنم» وحديث رافع بن خديج رواه الطبراني من رواية أبي مدرك عن عباية ابن رفاعة عنه بلفظ « وليتبوأ من كذب عليّ مقعده من جهنم » وحديث أوس بن أوس الثقفي رواه الطبراني من رواية اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن محيريز عنه بلفظ « من كذب على نبيه لم يرح رائحة الجنة » وحديث حذيفة بن اليمان رواه الطبراني من رواية أبي بلال الأشعرى حدثنا شريك عن منصور عن ربعى عنه، ورواه أبو نعيم من رواية أبي عمار عن عمرو بن شرحبيل عنه، وحديث أبي ميمون الكردى واسمه جابان رواه الطبراني في الأوسط من رواية أبي خلوة عن ميمون الكردى عن أبيه وإسناده حسن، وحديث بريدة بن الخصيب رواه أبو يعلى وابن عدى في مقدمة الكامل من رواية صالح بن حيان عن أبي بريدة عن أبيه، وحديث سعد بن الرحاس رواه الطبراني من رواية ابن عائذ عنه، ورواه ابن منده أيضًا في الصحابة، وحديث عمرو ابن عون المزنى رواه ابن الشخير من رواية الفضل بن عطية عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عون عن أبيه عن جده، وحديث المنقع التميمي رواه البخارى في التاريخ الكبير من رواية سيف بن هرون سمع عصمة بن بشر سمع المقرع سمع المنقع، وحديث عبد الله بن عمر رواه أحمد والبزار والطبراني من رواية أبي بكر بن سالم عن أبيه عن جده ورواه أبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية جابر بن نوح عن عبيد الله بن عمر عن نافع عنه، وحديث أبي كبشة الأنمارى رواه محمد بن جرير الطبرى قال: حدثنا عمرو بن مالك حدثنا جارية بن هرم حدثنا عبد الله بن بشر=

= الحراني سمعت أبا كبشة، وقد اختلف فيه على جارية مع ضعفه، فقيل هكذا، وقيل عن أبي كبشة عن أبي بكر وقد تقدم، وحديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ رواه ابن الشخير من رواية عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن رافع عن أبيه، وحديث واثلة بن الأسقع رواه الطبراني من رواية ابنته خصيلة عنه بلفظ: « إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل عليّ ما لم أقل »، وحديث أبي الجراء رواه ابن الشخير من رواية نفيع بن داود عنه، وحديث أسامة بن زيد رواه الطبراني من رواية على بن ثابت الجزرى عن الوازع بن نافع عن أبى سلمة عنه بلفظ: من قال عليّ ما لم أقل، وحديث معاوية بن حيدة رواه أبو بكر بن المعرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وحديث عبد الله بن الزبير رواه الدارقطنى من رواية الزبير بن خبيب عن أبيه، عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه وحديث أبى عبيدة بن الجراح رواه الخطيب من رواية ميسرة ابن مسروق العبسى عنه ورواه ابن الشخير من رواية أبى عبيدة بن فلان عنه، وحديث سلمان الفارسى رواه الطبرانى من رواية هلال الوزان عن سعيد بن المسيب عنه ورواية الخطيب فى التاريخ من رواية أبى البخترى، عنه وحديث أبى ذر الغفارى رواه المحاملى من رواية عبد الرحمن بن عمرو بن نضلة القسرى عن أبيه عن جده عنه، وحديث حذيفة بن أسيد رواه بن الجوزى فى مقدمة الموضوعات من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى حدثنا المثنى بن سعيد عن قتادة عن أبى الطفيل عنه، وحديث عبد الله بن أبى أوفى رواه ابن الجوزى أيضًا من طريق ابن قانع حدثنا يعقوب بن إسحق الحضرمى حدثنا سالم بن قادم حدثنا على بن إبراهيم عن فائد بن أبى العوام عنه، وحديث أبى رمثة البلوى رواه الدارقطنى فى الأفراد من رواية موسى بن إسماعيل عن حماد بن سالم عن عاصم بن عبيد الله عنه، وحديث يزيد بن أسد القسرى رواه الخطيب من رواية خالد بن يحيى بن سعيد بن خالد بن عبيد الله بن يزيد بن أسد القسرى عن أبيه عن جده يزيد بن أسد، وحديث عفان بن حبيب رواه الحاكم فى تاريخ نيسابور من رواية ابنه داود بن عفان عنه، وقال فى عفان إنه كان ورد نيسابور مع عبد الله بن عامر، وحديث عائشة رواه ابن الشخير من رواية حصين الدمشقى عن أبى سلمة عنها، وحديث أم أيمن رواه الدارقطنى من رواية بشر بن عاصم عن أبى إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عنها، وحديث سفينة رواه ابن المقرى من رواية بريدة بن عمر بن سفينة عن أبيه عن جده، وحديث زيد ابن ثابت رواه ابن الشخير من رواية الفضل بن عبد الله الفارسى عن محمد بن جابر عن ابن المنكدر عنه، وحديث كعب بن قطبة رواه أبو نعيم من رواية على بن ربيعة عنه، وحديث جابر ابن عابس ويقال حابس العبدى رواه ابن منده فى معرفة الصحابة من رواية حصين بن حبيب عن أبيه عنه بلفظ: من قال عليّ ما لم أقل، ورواه أبو نعيم فقال حصين بن عمير عن أبيه عن جابر ابن عابس بالعين، وحديث عبد الله بن زغب رواه أبو نعيم من رواية عبد الرحمن بن عائذ عنه، وحديث والد أبى العشراء رواه تمام فى جزء له جمع فيه حديث أبى العشراء من رواية أبى عمير الضرير، حدثنا حماد بن سلمة عن أبى العشراء الدارمى عن أبيه واسمه مالك بن قهطم على المشهور، وقد روى الحديث أيضا عن النعمان بن بشير والعباس بن عبد المطلب وغزوان ومالك ابن عتاهية وذكر ابن منده في مستخرجه أنه ورد أيضًا من رواية سمرة بن جندب والنواس=

= ابن سمـعان وعـبد الله بن الحـرث بن جزء وعبـد الله بن جعـفر الهـاشمى وعـبد الله ابن جراد وأبىّ بن كعب وسليـمان بن صرد وعمرو بن الحمق وعـمرو بن العاص وجندب بن عبد الله وجهجاه الغفارى وسبرة ومرة البـهزى وسنجرة وأبى أسيد وأبى أيوب وحفصة بنت عمر وخولة بنت حكيـم، وذكر ابن الجوزى فى نسـخة الموضـوعات الأولى: رواه أحد وستون من الصـحابة، وقـال فى النسـخـة الثانيـة وهى أطول من الأولى: رواه ثمـانيـة وتسعـون من الصحـابة، **قـال العـراقى**: وحكى النووى فى شرح مسلم عن بعـضهم أنه رواه مائتان من الصـحابة، قلت: وقـد روى أيضًا من حـديث الرجل الذى من أسلم، رواه الطبرانـى وقد تقدم فى ترجمة سليمان بن خالد الخزاعى، وفى أوله قصة هى سبب للحديث وحديث الرجل الآخر الذى لم يسم، رواه أحمد من رواية عمرو بن مرة عنه، والظاهر أنه ابن مسعود وقد تقدم، وحديث الآخر الذى لم يُسم رواه ابن الجـوزى فى مقدمة الموضـوعات من رواية خالد بن دريك عنه وفـيـه عن رجل آخر لم يـسم بلفظ آخر مـن رواية عبـد الأعلى بن هلال الحـمـصى عنه، وبمجموع من ذكر يبلغ العدد إلى قريب من المائة، قال ابن الجوزى فى الموضوعات بإسناده إلى أبى بكر محمد بن أحمد بن عبد الوهاب الأسفـراينى: ليس فى الدنيا حديث اجتمع عليه العشرة غير هذا الحديث، قلت: وهذا قد رده العراقى فقال: ليس كذلك، فقد ذكر الحاكم والبيهقى فى حديث رفع اليـدين فى الصلاة رواه العـشرة، وقال: إنه ليس حـديث رواه العشرة غـيره، وذكر أبو القاسم بن منده أن حديث المسح على الخـفين رواه العشرة أيضًا. ا هـ. ثم قال ابن الجوزى: ما وقعت لى رواية عبد الرحمن بن عوف إلى الآن. ا هـ. **وقال مرتضى: قـال العـراقى**: حديث عـبد الرحمن بن عـوف رويناه من رواية ابنه إبراهيم عنه، وفى إسناده أحمـد بن منصور الشـيرازى أحد الحـفاظ، إلا أن الدارقطنى رماه بأنـه كان يدخل على الشيوخ أحاديث بمصر. اهـ. وقال كذلك: أورده الذهبى فى الميزان، ولفظه: أدخل على جماعة من الشيوخ بمصر وأنا بها، وكان يتقـرب إلىّ ويكتب إلىّ كتبًا، وهكذا ذكره فى ديوان الضعفاء، قال السيوطى فى تحذير الخواص: لا أعلم شيئًا من الكبائر قال أحد من أهل السنة بتكفير مرتكبه إلا الكذب على رسـول الله ﷺ فإن الشـيخ أبا محـمد الجوينـى من أصحابنا وهـو والد إمام الحرمين قـال: إن من تعمد الكذب عليه ﷺ يكفـر كفرًا يخرجه عن الملـة، وتبعه على ذلك طائفة منهم الإمام ناصر الدين بن المنير من أئمـة المالكية، وهذا يدل على أنه أكبر الكبائر لأنه لا شىء من الكبـائر يقتـضى الكفر عند أحـد من أهل السنة. ا هـ. وقال ابن الـصلاح فى علوم الحـديث: لا تحل رواية الحديـث الموضـوع لأحد علم حـاله فى أى معنى كـان إلا مقرونا ببيان وضعـه، بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التى يحتـمل صدقها فى الباطن، حيث جاز روايتهـا فى الترغيب، وقال بعد ذلك: يجوز عند أهل الحديث وغـيرهم التساهل فى الأسانيد، ورواية ما سوى الموضـوع من أنواع الحديث الضعيفة من غير اهتمام ببـيان ضعفها فيمـا سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريـعة من الحلال والحرام وغيرهمـا، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال. ا هـ. قال السيـوطى: وقد أطبق على ذلك علماء الحديث فجزموا بأنه لا يحل رواية الحديث الموضوع فى أى مـعنى كان إلا مقرونا ببيان وضعـه بخلاف الضعيف=

وقال ﷺ : « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها » (١٠٧) فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء ؛ فإن شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق ، ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن شر الخلق أبى وقال : «اللهم اغفر»، حتى كرروا عليه فقال، هم علماء السوء »(١٠٨) فقد عرفت العلم المحمود والمذموم

= فإنه يجوز روايته في غير الأحكام والعقائد، وممن جزم بذلك الشيخ النووى فى الإرشاد والتقريب والبدر بن جماعة فى المنهل الروى والطيبى فى الخلاصة والسراج البلقينى فى محاسن الاصطلاح، والزين العراقي فى ألفيته وشرحها.

(١٠٧) حديث: « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها »، قال العراقى: تقدم بنحوه. ا هـ. وكأنه يشير إلى ما ذكره المصنف أولا: « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها » وذكر أنه موقوف على الحسن البصرى أو إلى حديث « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة » وذكر أنه من مراسيل زيد بن أسلم، وقد أخرج الديلمى عن أبى هريرة « كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة ». وسنده ضعيف.

(١٠٨) حديث: « لما سئل ﷺ عن شر الخلق أبى »، أى امتنع من الجواب وقال: « اللهم غفراً» منصوب بفعل محذوف على أنه مفعول مطلق « حتى كرر عليه » فى السؤال « ثم قال » عليه السلام « هم علماء السوء »، قال العراقى: أخرجه الدارمى بنحوه من حديث الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا وهو ضعيف ورواه البزار فى مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف. اهـ. قال مرتضى: قال الدارمى فى مسنده: حدثنا نعيم بن حماد حدثنا بقية عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: « سأل رجل النبى ﷺ عن الشر فقال لا تسألونى عن الشر واسألونى عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء » وأحوص بن حكيم حمصى رأى أنسا وسمع خالد بن معدان وطاوسا وعنه بقية ومحمد ابن حرب وعده ضعيف، كذا فى الكاشف للذهبى وأشار عليه لابن ماجه وأما أبوه فهو حكيم بن عمير العنسى الحمصى، روى عن عمر وثوبان وعنه ابنه أحوص، ومعاوية بن صالح صدوق، وأما حديث معاذ فقد أخرجه صاحب الحلية فقال: حدثنا أحمد بن يعقوب بن المهرجان حدثنا الحسن بن محمد بن نصر حدثنا محمد بن عثمان العقيلى حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطغاوى حدثنا الخليل بن مرة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال: تصديت لرسول الله ﷺ وهو يطوف فقلت: يا رسول الله أرنا شر الناس، فقال: « سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر، شرار الناس شرار العلماء فى الناس » ورواه البزار من رواية الخليل بن مرة وفيه: « تعرضت أو قال تصديت » وفيه: وهو يطوف بالبيت، وفيه: أى الناس شر، وفيه: «اللهم غفراً سل عن الخير ولا تسأل عن الشر» والباقى سواء والخليل بن مرة ضعيف.

ومثار الالتباس وإليك الخيرة في أن تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث، وقد صح قول رسول الله ﷺ: « بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء »، فقيل: ومن الغرباء ؟ قال: **« الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى، والذين يحيون ما أماتوه من سنتى »** (١٠٩).

---

(١٠٩) حديث: « بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء » هكذا رواه مسلم وابن ماجه من رواية يزيد بن كيسان عن حازم عن أبى هريرة ورواه مسلم من رواية عاصم بن محمد العمرى عن أبيه عن ابن عمر بلفظ: « إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها » وقال فيه البزار: فطوبى للغرباء، وروى الطبرانى من رواية عيسى بن ميمون عن عون بن شداد عن أبى عثمان عن سليمان مختصرًا هكذا إلى قوله: كما بدأ، وروى فى الأوسط من رواية عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى مثله إلى قوله: فطوبى للغرباء وروى ابن ماجه من رواية سنان بن سعد عن أنس هكذا مختصرًا، وقال السخاوى فى المقاصد: وأخرج البيهقى فى الشعب من حديث شريح بن عبيد مرسلا وفيه زيادة وهى: إلا أنه لا غربة على مؤمن من مات فى أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض، «فقيل: ومن الغرباء ؟ قال: الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتى والذين يحيون ما أماتوه من سنتى » رويت هذه الزيادة من طرق فأخرج الترمذى من رواية كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رفعه فذكر الحديث، وفيه: « إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبًا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدى من سنتى» وقال: هذا حديث حسن، وروى عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند والطبرانى فى الكبير من رواية إسحق بن عبد الله بن أبى فروة عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبد الرحمن بن سنة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « بدأ الإسلام غريبًا ثم يعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء» قيل: يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس » وأخرج الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من رواية بكر ابن سليم الصواف عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى رفعه: « إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء». قالوا: يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال: « الذين يصلحون عند فساد الناس »، وأخرج أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى فى كتاب صفة الغرباء والطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن يزيد بن آدم الدمشقى عن أبى الدرداء وأبى أمامة وواثلة وأنس رفعوه وفيه: فقالوا: ومن الغرباء ؟ قال: « الذين يصلحون إذا فسد الناس » وأخرج أحمد وأبو يعلى والبزار فى مسانيدهم، من رواية أبى صخر عن أبى حازم عن ابن سعد، قال: وأحسبه عامر بن سعد، وقال أحمد وأبو يعلى: سمعت أبى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الإيمان بدأ غريبا وسيعود » ، قال أحمد: غريبا، ثم اتفقوا كما بدأ فطوبى للغرباء يومئذ إذا فسد الناس، ولم يقل البزار يومئذ. . . إلخ، وقد عرف بمجموع ما سقناه أن قول المصنف: والذين يحيون. . . إلخ ليس فى سياق الحديث المذكور ونظر المصنف=

وفى خـبر آخـر : « هم المـتمسكون بمـا أنتم عليـه اليوم » [١١٠]، وفى حـديث آخـر : «الغرباء: ناس قليل صالحون بين ناس كثير ، من يبـغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم »[١١١] وقـد صارت تلك العلـوم غريبة بحـيث يمقت ذاكرها ، ولذلك قـال الثورى رحـمه الله : إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه إن نطق بالحق أبغضوه .

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم أن العلم بهـذا الاعتبـار ثلاثة أقسام : قـسم هو مذموم قليـله وكثيـره ، وقسم هو محمود قليله وكثـيره، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل ، وقسم يحـمد منه مقدار الكفاية ، ولا يحمـد الفاضل عليه والاستـقصاء فيـه ، وهو مثل أحوال البـدن فإن منها ما يحـمد قليله

= أوسع، وأخرج التـرمذى وابن ماجه من رواية أبى إسـحق عن أبى الأحوص عن ابن مسـعود رفعه « إن الإسـلام بدأ غريبا وسـيعود غريبـا » زاد الترمذى: كـما بدأ، ثم اتفـقا: فطـوبى للغرباء، زاد ابـن ماجـه قـال: قيل: ومن الغـرباء؟ قـال: النزاع من القبائل، قال الترمذى: حسن صحيح غريب، أى الذين نزعوا عن أهلهم وعترتهم، قيل: وهم أصـحاب الحـديث فـإن هذا المعنى صـادق عليـهم، قال المناوى: هو تـخصـيص بغيـر مخصص، وفى الباب عن عبد الله بن عمرو وأبى موسى الأشعرى.

(١١٠) حديث: « المـتمسكون بـما أنتم عليه اليـوم » أى ورد ذلك فى تفسـير الغرباء المـذكور فى الحديث المتقدم، **قال العراقى:** لم أقف له على إسناد إلا أن فى أثناء حديث أبى الدرداء وأبى بكر أمامـة ووائلة وأنس، وفيما أخـرجه الطبرانى فى الكبيـر وأبى بكر الآجرى فى كتـاب صفة الغرباء ذكـر افتراق الأمم كلهم على الضـلالة إلا السواد الأعظم قالوا: مـا السواد الأعظم ؟ قـال: « من كان على مـا أنا عليـه وأصحـابى ». الحـديث. ا هـ. قلت: وبه يصح حملهم على أهل الحديث، كما لا يخفى.

(١١١) حديث: « الغرباء ناس قليل صالحـون بين ناس كثير، من يبغضهم أكثـر ممن يحبهم » **قال العـراقى:** رواه أحمد فى مسنده قال: حدثنا حسن بن مـوسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن يزيد عن جندب بن عبد الله أنه سمع سفيـان بن عوف يقول: سمعت عبد الله ابن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: « طوبى للغرباء» فقيل: من الغرباء يا رسول الله ؟ قال: « أناس صالحون فى أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعـهم». وابن لهيعة مختلف فيه. ا هـ. قلت: وهكذا أخـرجه السيوطى فى الجامع الكبير عن ابن عمرو وعزاه لأحمد بلفظ: « طوبى للغرباء أناس صالحون فى أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم ».

ومثار الالتباس وإليك الخيرة فى أن تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكبّ الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث، وقد صح قول رسول الله ﷺ : « بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء »، فقيل : ومن الغرباء ؟ قال : « **الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى، والذين يحيون ما أماتوه من سنتى** » (١٠٩).

(١٠٩) حديث: « بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء » هكذا رواه مسلم وابن ماجه من رواية يزيد بن كيسان عن حازم عن أبى هريرة ورواه مسلم من رواية عاصم بن محمد العمرى عن أبيه عن ابن عمر بلفظ: « إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها » وقال فيه البزار: فطوبى للغرباء، وروى الطبرانى من رواية عيسى بن ميمون عن عون بن شداد عن أبى عثمان عن سليمان مختصراً هكذا إلى قوله: كما بدأ، وروى فى الأوسط من رواية عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى مثله إلى قوله: فطوبى للغرباء وروى ابن ماجه من رواية سنان بن سعد عن أنس هكذا مختصراً، وقال السخاوى فى المقاصد: وأخرج البيهقى فى الشعب من حديث شريح بن عبيد مرسلا وفيه زيادة وهى: إلا أنه لا غربة على مؤمن من مات فى أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض، «فقيل: ومن الغرباء ؟ قال: الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتى والذين يحيون ما أماتوه من سنتى » رويت هذه الزيادة من طرق فأخرج الترمذى من رواية كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رفعه فذكر الحديث، وفيه: « إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبًا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدى من سنتى» وقال: هذا حديث حسن، وروى عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند والطبرانى فى الكبير من رواية إسحق بن عبد الله بن أبى فروة عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبد الرحمن بن سنة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « بدأ الإسلام غريبًا ثم يعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء» قيل: يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس » وأخرج الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من رواية بكر ابن سليم الصواف عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى رفعه: « إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء». قالوا: يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال: « الذين يصلحون عند فساد الناس »، وأخرج أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى فى كتاب صفة الغرباء والطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن يزيد بن آدم الدمشقى عن أبى الدرداء وأبى أمامة ووائلة وأنس رفعوه وفيه: فقالوا: ومن الغرباء ؟ قال: « الذين يصلحون إذا فسد الناس » وأخرج أحمد وأبو يعلى والبزار فى مسانيدهم، من رواية أبى صخر عن أبى حازم عن ابن سعد، قال: وأحسبه عامر بن سعد، وقال أحمد وأبو يعلى: سمعت أبى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الإيمان بدأ غريبا وسيعود » ، قال أحمد: غريبا، ثم اتفقوا كما بدأ فطوبى للغرباء يومئذ إذا فسد الناس، ولم يقل البزار يومئذ. . . إلخ، وقد عرف بمجموع ما سقناه أن قول المصنف: والذين يحيون. . . إلخ ليس فى سياق الحديث المذكور ونظر المصنف=

وفى خبر آخر : « هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم » [١١٠]، وفى حديث آخر : «الغرباء: ناس قليل صالحون بين ناس كثير ، من يبغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم »[١١١] وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ، ولذلك قال الثورى رحمه الله : إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه إن نطق بالحق أبغضوه .

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام : قسم هو مذموم قليله وكثيره ، وقسم هو محمود قليله وكثيره، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل ، وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ، ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يحمد قليله

= أوسع، وأخرج الترمذى وابن ماجه من رواية أبى إسحق عن أبى الأحوص عن ابن مسعود رفعه « إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا » زاد الترمذى: كما بدأ، ثم اتفقا: فطوبى للغرباء، زاد بن ماجه قال: قيل: ومن الغرباء؟ قال: النزاع من القبائل، قال الترمذى: حسن صحيح غريب، أى الذين نزعوا عن أهلهم وعترتهم، قيل: وهم أصحاب الحديث فإن هذا المعنى صادق عليهم، قال المناوى: هو تخصيص بغير مخصص، وفى الباب عن عبد الله بن عمرو وأبى موسى الأشعرى.

(١١٠) حديث: « المتمسكون بما أنتم عليه اليوم » أى ورد ذلك فى تفسير الغرباء المذكور فى الحديث المتقدم، **قال العراقى**: لم أقف له على إسناد إلا أن فى أثناء حديث أبى الدرداء وأبى بكر أمامة وواثلة وأنس، وفيما أخرجه الطبرانى فى الكبير وأبى بكر الآجرى فى كتاب صفة الغرباء ذكر افتراق الأمم كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم قالوا: ما السواد الأعظم ؟ قال: « من كان على ما أنا عليه وأصحابى ». الحديث. اهـ. قلت: وبه يصح حملهم على أهل الحديث، كما لا يخفى.

(١١١) حديث: « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير، من يبغضهم أكثر ممن يحبهم » **قال العراقى**: رواه أحمد فى مسنده قال: حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن يزيد عن جندب بن عبد الله أنه سمع سفيان بن عوف يقول: سمعت عبد الله ابن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: « طوبى للغرباء» فقيل: من الغرباء يا رسول الله ؟ قال: « أناس صالحون فى أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم». وابن لهيعة مختلف فيه. اهـ. قلت: وهكذا أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير عن ابن عمرو وعزاه لأحمد بلفظ: « طوبى للغرباء أناس صالحون فى أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم ».

وكثيره ، كالصحة والجمال ، ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فإن التبذير لا يحمد فيه وهو بذل ، وكالشجاعة فإن التهور لا يحمد فيها ، وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم .

فالقسم المذموم قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه فى دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم، فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذى هو أنفس ما يمسكه الإنسان إليه إضاعة ، وإضاعة النفيس مذموم ، ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر فى الدنيا فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه .

وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ؛ فإن هذا علم مطلوب لذاته ، وللتوصل به إلى سعادة الآخرة ، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذى لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم ، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم ، وهذا هو العلم المكنون الذى لا يسطر فى الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم ، هذا فى أول الأمر ، ويعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد، ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها .

وأما العلوم التى لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص فهى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات فإن فى كل علم منها اقتصاراً وهو الأقل ، واقتصاداً وهو الوسط ، واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له إلى آخر العمر . فكن أحد رجلين : إما مشغولا بنفسك وإما متفرغًا لغيرك بعد الفراغ من نفسك ، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ؛ فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك، وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم الذى أهمله الكل : علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم، إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل

الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات وإهمالها من الواجبات . مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهى الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدماميل والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال، وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن، وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بإفساد منابتها وقلع مغارسها من القلب ، وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المُرة فلا يزال يتعب فى الطلاء ويزيد فى المواد وتتضاعف به الأمراض. فإن كنت مريداً للآخرة وطالبًا للنجاة وهاربًا من الهلاك الأبدى فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه فى ربع المهلكات ثم ينجرّ بك ذلك إلى المقامات المحمودة المذكورة فى ربع المنجيات لا محالة ، فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود ، والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين ، وإن لم تفرغ من ذلك لم تثبت ذاك ، فلا تشتغل بفروض الكفاية لا سيما وفى زمرة الخلق من قد قام بها فإن مُهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه ، فما أشد حماقة من دخلت الأفاعى والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به . وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الإثم وباطنه وصار ذلك ديدنًا لك وعادة متيسرة فيك - وما أبعد ذلك منك - فاشتغل بفروض الكفايات ، وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله ﷺ ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه ، وكذلك فى السنة، ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف، ثم بأصول الفقه ، وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت، ولا تستغرق عمرك فى فن واحد منها طلبًا للاستقصاء، فإن العلم كثير والعمر قصير ، وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها ، وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغى أن يُنسى فيه المطلوب ويُستكثر منه ، فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ، ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه ، واقتصر من النحو

على ما يتعلق بالكتاب والسنة ؛ فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ، ونحن نشير إليها فى الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها .

فالاقتصار فى التفسير ما يبلغ ضعف القرآن فى المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز ، والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه ، وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مردّ له إلى انتهاء العمر .

وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث ، وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك مَن قبلك ، ولك أن تعول على كتبهم ، وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين، ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة ، وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة ، وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم .

وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر ، والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله ، وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب،والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات .

وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير ، وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقتها، ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر ، وهو القدر الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب، والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذى أوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد، ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى، وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم ، وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئًا يسيرًا فقلما ينفع معه الكلام فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جوابًا ما وهو عاجز عنه، وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة . وأما العامى

إذا صرف عن الحق بنوع جدلى يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتدّ التعصب للأهواء ، فإذا اشتدّ تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد فى النفوس ، وهو من آفات العلماء السوء فإنهم يبالغون فى التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل، ويقوى غرضهم فى التمسك بما نسبوا إليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة لا فى معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه ، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبًا عن الدين ونضالاً عن المسلمين، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة فى النفوس . وأما الخلافيات التى أحدثت فى هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها فى السلف فإياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فإنها الداء العضال، وهو الذى رد الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها .

وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال : الناس أعداء ما جهلوا، فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطتَ ، فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانًا ، وزاد فيه على الأولين تصنيفًا وتحقيقًا وجدلا وبيانًا ، ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه؛ فهجره واشتغل بنفسه، فلا يغرّنك قول من يقول: الفتوى عماد الشرع، ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف. فإن علل المذهب مذكورة فى المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم، بل هى مع أنها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه، فإن الذى يشهد له حدس المفتى إذا صح ذوقه فى الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل فى أكثر الأمر ، فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب ، وقد ينقضى عليه العمر ولاتنصرف همته إلى علم المذهب ، فكن من شياطين الجن فى أمان واحترز من شياطين الإنس فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الإغواء والإضلال، وبالجملة فالمَرْضِىّ عند العقلاء أن تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله وبين

يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار، وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه، والسلام.

وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء فى المنام فقال له: ما خبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها؟ فبسط يده ونفخ فيها وقال: طاحت كلها هباءً منثوراً، وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لى فى جوف الليل، وفى الحديث: « ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (١١٢) ».

وفى الحديث فى معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ (آل عمران:٧)، « هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم »(١١٣) وقال بعض السلف: يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل. وفى بعض الأخبار: « إنكم فى زمان أُلهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يُلهمون الجدل» (١١٤)، وفى الخبر المشهور: « أبغض

(١١٢) حديث: « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم قرأ ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾، هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد، **وقال العراقى**: أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة، قال الترمذى: حسن صحيح. ا هـ. **قال مرتضى**: أخرجاه من رواية حجاج بن دينار عن أبى غالب عن أبى أمامة، وأبو غالب اسمه حزور وقيل: سعيد بن حزور، وقد أخرجه أيضًا الإمام أحمد فى مسنده والحاكم فى التفسير وصححه والطبرانى فى الكبير والضياء المقدسى فى المختارة واللالكائى فى السنة، كلهم من رواية ابن غالب عن أبى أمامة رضي الله عنه واقتصروا على الحديث وليس فى سياقهم: ثم قرأ إلخ، إلا اللالكائى فإنه ساقه بتمامه وأقره الذهبى فى التلخيص.

(١١٣) حديث: « هم أهل الجدل الذين عناهم الله تعالى بقوله: فاحذرهم »، هكذا أورده صاحب القوت بلا سند، **وقال العراقى**: متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها. اهـ. **قال مرتضى**: وكذا أبو داود والترمذى كلهم من رواية ابن أبى مليكة عن القاسم عنها بلفظ: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم** » وقد رواه ابن ماجه من رواية أيوب عن ابن أبى مليكة عن عائشة وفيه: فقال: « يا عائشة إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم... الحديث » فلم يذكر بين ابن أبى مليكة وعائشة القاسم.

(١١٤) حديث: « إنكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل » هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد **وقال العراقى**: لم أجد له أصلا. ا هـ. **قال مرتضى**: من شواهده ما أخرجه=

الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم» (١١٥)، وفى الخبر : « ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل» (١١٦) والله أعلم .

★ ★ ★

= الخطيب فى الاقتضاء من طريق العباس بن الوليد بن مزيد قال: أخبرنى أبى سمعت الأوزاعى يقول: إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل، وأخرج اللالكائى فى السنة من رواية يحيى بن معين قال: حدثنا عثمان بن صالح حدثنا بكر بن مضر عن الأوزاعى فساقه إلا أنه قال: ألزمهم الجدل، والباقى سواء، وأخرج الخطيب من طريق عبد الله بن حنيف سمعت إبراهيم البكاء يقول: سمعت معروف ابن فيروز الكرخى يقول: إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً فتح له باب الجدل، وأغلق عنه باب العمل.

(١١٥) حديث: « أبغض الخلق إلى الله الألد الخصم » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها. ا هـ. **قال مرتضى:** هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد وقد أخرجه أيضًا الإمام أحمد والترمذى والنسائى كلهم من رواية ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عائشة وسياقهم كلهم: أبغض الرجال، وقال الترمذى: حديث حسن. قال المناوى: وإنما خص الرجال لأن اللدد فيهم أغلب ولأن غيرهم تبع لهم فى جميع المواطن، والألد: هو الشديد الخصومة بالباطل الآخذ فى كل لدد أى فى كل شق من المراء والجدال، والخصم: المولع بالجدال الماهر فيه الحريص عليه المتمادى فيه بالباطل وهو يظهر أنه على الحسن الجميل ويوجه لكل شىء من خصامه وجهًا بحيث صار ذلك عادته، فالأول ينبئ عن الشدة والثانى عن الكثرة.

(١١٦) حديث: « ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل » **قال العراقى:** لم أجد له أصلا. ا هـ.
قال مرتضى: أورده صاحب القوت من طريق الحكم بن عيينة عن عبد الرحمن بن أبى ليلة رفعه، قلت: عبد الرحمن بن أبى ليلى تابعى عالم الكوفة روى عن أبيه وعمر ومعاذ، وعنه ابنه عيسى وحفيده عبد الله وثابت مات سنة ٨٣ هـ والصحبة لابن أبى ليلى، فهذا الحديث مرسل.

الباب الرابع

فى سبب إقبال الخلق على علم الخلاف، وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ تولاها الخلفاء الراشدون المهديون، وكانوا أئمة علماء بالله تعالى، فقهاء فى أحكامه، وكانوا مستقلين بالفتاوى فى الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا فى وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم، فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام، اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم فى جميع أحوالهم لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم، وكان قد بقى من العلماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف، فكانوا إذا طُلبوا هربوا وأعرضوا، فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عزّ العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم، فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم، فمنهم من حرم ومنهم من أنجح، والمنجح لم يخل من ذلّ الطلب ومهانة الابتذال، فأصبح الفقهاء - بعد أن كانوا مطلوبين - طالبين، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم إلا من وفّقه الله تعالى فى كل عصر من علماء دين الله.

وقد كان أكثر الإقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها فى الولايات والحكومات، ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعُلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة فى الكلام فأكبّ الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات

واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات ، وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة ، وقمع المبتدعة كما زعم مَن قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين إشفاقًا على خلق الله ونصيحة لهم ، ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه ، لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ، ومالت نفسه إلى المناظرة فى الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعى وأبى حنيفة ﷺ على الخصوص ، فترك الناس الكلام وفنون العلم ، وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة على الخصوص وتساهلوا فى الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم ، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه إلى الآن وليس ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار، فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضًا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين ، وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .

بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح ، فإن الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر ، هكذا كانت عادة الصحابة ﷺ فى مشاوراتهم كتشاورهم فى مسألة الجد والإخوة، وحد شرب الخمر، ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ، كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفًا من عمر ﷺ ، وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها ،وما نقل عن الشافعى وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى ، ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ، ولكن له شروط وعلامات ثمان:

الأول : ألا يشتغل به - وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب ، ومثاله من يترك الصلاة فى نفسه ويتجرد فى تحصيل الثياب ونسجها ، ويقول : غرضى أستر عورة من يصلى عريانا ولا يجد ثوبا ، فإن ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن . كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التى عنها البحث فى الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمور هى فرض عين بالاتفاق، ومن توجه عليه رد وديعة فى الحال فقام وأحرم بالصلاة التى هى أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به، فلا يكفى فى كون الشخص مطيعًا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب .

الثانى : ألا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة، فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله، وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة ، وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس ، وإذا قيل له: فى البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية: فيقول: هذا لا يُخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية، فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفى البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها، فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد فى أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء فى الاشتغال به ، وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من فروض الكفايات ، وربما يكون المناظر فى مجلس مناظرته مشاهدًا للحرير ملبوسًا ومفروشًا، وهو ساكت ويناظر فى مسأله لا يتفق وقوعها قط، وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ، ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات ، وقد روى أنس ﷺ ، أنه قيل: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ فقال عليه السلام: « **إذا ظهرت المداهنة فى خياركم، والفاحشة فى شراركم، وتحولّ الملك فى صغاركم، والفقه فى أراذلكم** » (١١٧) .

---

(١١٧) حديث: قيل: يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ فقال: « إذا ظهرت المداهنة »، وفى رواية: إذا ظهر الادّهان أى الملاينة وترك المجادلة، وأصل ذلك من=

الثالث: أن يكون المناظر مجتهداً يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما، حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبى حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعى وأفتى بما ظهر له، كما كان يفعله الصحابة ﷺ والأئمة، فأما من ليس له رتبة الاجتهاد، وهو حكم كل أهل العصر، وإنما يفتى فيما يسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه ، فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره، وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبى جوابًا عن هذا فإنى لست مستقلا بالاجتهاد فى أصل الشرع، ولو كانت مباحثته عن المسائل التى فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فإنه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسألة التى فيها وجهان أو قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مبتوتًا .

= الدهن الذى يمسح به الرأس ثم جعل عبارة عما ذكرنا « فى خياركم والفاحشة فى شراركم، وتحول الملك فى صغاركم والفقه فى أرذالكم »، وفى نسخة فى رذّالكم وفى أخرى فى أراذلكم. **قال العراقى:** أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن وقال فى التخريج الكبير: رواه أحمد وابن ماجه وابن عبد البر فى بيان آداب العلم واللفظ له بإسناد حسن من رواية أبى معبد حفص بن غيلان عن مكحول عن أنس بزيادة فى أوله وقال ابن ماجه « إذا ظهر فيكم ما ظهر فى الأمم قبلكم » قالوا: يا رسول الله وما ظهر فى الأمم قبلنا؟ قال: « الملك فى صغاركم والفاحشة فى كباركم والعلم فى رذّالكم »، قال زين بن يحيى أحد رواة الحديث: معنى والعلم فى رذالكم إذا كان العلم فى الفساق. اهـ.

قال مرتضى: ويروى هذا الحديث عن عائشة، وجدته فى الأول من مشيخة أبى يوسف يعقوب بن سفيان القوسى قال: حدثنا الحسن بن الخليل بن يزيد المكى، حدثنا الزبير ابن عيسى، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: يا رسول الله متى لا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ؟ قال: « إذا كان البخل فى خياركم، وإذا كان العلم فى رذالكم، وإذا كان الادهان فى كباركم، وإذا كان الملك فى صغاركم ». اهـ. ومن شواهد هذا ما أخرجه البخارى فى أول صحيحه من حديث أبى هريرة رفعه « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »، وفى الرقائق منه: إذا أسند، قال الحافظ: فيه إشارة إلى أن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم وذلك من جملة الأشراط ومعناه أن العلم ما دام قائمًا ففى الأمر فسحة، وكأنه أشار إلى أن العلم إنما يؤخذ من الأكابر تلميحًا لما روى عن أبى أمية الجمحى رفعه قال من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر .

الـرابــع : ألا يناظر إلا فى مسألة واقعـة أو قريبة الوقوع غالبًا ، فـإن الصحابة ﷺ ما تشاوروا إلا فيمـا تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفـرائض، ولا نرى المناظرين يهتمون بانتقاد المـسائل التى تعم البلوى بالفتوى فـيها بل يطلبون الطبـوليات التى تسمع فيتـسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر، وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون: هذه مسألة خبرية ، أو هى من الزوايا وليست من الطبوليات، فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لأنها خـبرية ومدرك الحق فـيها هو الأخبـار ، أو لأنها ليست من الطبـول ، فلا نطول فيـها الكلام ،والمقصود فى الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول .

الخـامس: أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب إليه وأهم من المحـافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين ، فإن الخلوة أجمع للفهم وأحـرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق، وفى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقًا كان أو مبطلا، وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله، وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقـترح عليه فلا يجيب ، وإذا ظهر مقـدم أو انتظم مجمع لم يغادر فى قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام .

السادس : أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينًا لا خصـما ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهر له الحق، كما لو أخذ طريقا فى طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته فى طريق آخر فإنه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به ، فـهكذا كانت مشاورات الصحابة ﷺ حتـى أن امرأة ردت على عمر ﷺ ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس فقال : أصابت امرأة وأخطأ رجل .

وسأل رجل عليّا ﷺ فأجابه فقال: ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا كذا، فقال : أصبتَ وأخطأتُ وفوق كل ذى علم عليم .

واستـدرك ابن مسعـود على أبى موسى الأشعـرى ﷺ فقال أبو مـوسى : لا تسألونى عن شيء وهذا الحبـر بين أظهركم، وذلك لمـا سئل أبو موسى عن رجل قـاتل فى سبيل الله فـقتل فقال: هو فى الجنة، وكان أمير الكوفة، فقام ابن مسعود فقال: أعده على الأمير فلعله لم يفهم، فأعادوا عليه فأعاد الجواب، فقال ابن مسعود : وأنا أقول: إن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنة،

فقال أبو موسى: الحق ما قال . وهكذا يكون إنصاف طالب الحق، ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده، وقال: لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق ، فإن ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظرى زمانك اليوم كيف يسودّ وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه، وكيف يخجل به وكيف يجتهد فى مجاحدته بأقصى قدرته، وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لا يستحيى من تشبيه نفسه بالصحابة ﷺ فى تعاونهم على النظر فى الحق .

السابع : ألاّ يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال، فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله: هذا لا يلزمني ذكره، وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فإن الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله ، وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضى فى المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له : ما الدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة ؟ فيقول : هذا ما ظهر لى ، فإن ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه ، فيُصر المعترض ويقول : فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها، ولا أذكرها إذ لا يلزمنى ذكرها ، ويقول المستدل : عليك إيراد ما تدّعيه وراء هذا ، ويصر المعترض على أنه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ، ولا يعرف هذا المسكين أن قوله: إنى أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمنى، كذبٌ على الشرع ، فإنه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليُعجز خصمه فهو فاسق كذَّاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها ، وإن كان صادقًا فقد فسق بإخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه، فإن كان قويًا رجع إليه وإن كان ضعيفًا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم ، فمعنى قوله: لا يلزمنى، أى فى شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشهى والرغبة فى طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمنى، وإلا فهو لازم بالشرع فإنه بامتناعه عن الذكر إما كاذبًا وإما فاسقًا، فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف ﷺ هل سمعت فيها ما يضاهى هذا الجنس ؟ وهل منع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل، ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية، بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه .

الثامن : أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه، ممن هو مشتغل بالعلم ، والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفًا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعًا فى ترويج الباطل عليهم . ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ، ولكن فى هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر لله ومن يناظر لعلة ، واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول قلبه وهو أعدى عدو له ولا يزال يدعوه إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل التى المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب فى الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ، ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التى نعددها ونذكر تفاصيلها ، فنسأل الله حسن العون والتوفيق .

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هى منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله ، المحمودة عند عدو الله إبليس . ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة ، وكما أن الذى خُير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره ، فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها فى النفس، وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة ، وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات فى ربع المهلكات ، ولكنا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة .

فمنها الحسد ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب** » (١١٨) ولا ينفك المناظر عن الحسد فإنه تارة يَغلب وتارة يُغلب وتارة يُحمد

---

(١١٨) حديث: « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »، لأنه اعتراض على الله فيما لا عذر للعبد فيه لأنه لايضره نعمة الله على عبده، فالله لا يعبث ولا يضع الشىء فى غير محله، فكأنه نسب ربه للجهل والسفه ولم يرض بقضائه، والحاسد معاقب بالغيظ الدائم فى الدنيا وفى الآخرة=

كلامه وأخرى يُحمد كلام غيره ، فما دام يبقى فى الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلامًا وأقوى نظرًا فلابد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه ، والحسد نار محرقة فمن بُلى به فهو فى العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما : خذوا العلم حيث وجدتموه، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة .

ومنها التكبر والترفع على الناس، فقد قال ﷺ : « **من تكبَّر وضعه الله ، ومن تواضع رفعه الله** » (١١٩) ، وقال ﷺ : حكاية عن الله تعالى : « **العظمة إزارى والكبرياء ردائى، فمن**

= بإحباط الحسنات، **قال العراقى**: أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة قال البخارى: لا يصح، وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وفى تاريخ بغداد بإسناد حسن ا هـ.

قال مرتضى: أما أبو داود فأخرجه من رواية إبراهيم بن أبى أسيد عن جده عن أبى هريرة بلفظ « إياكم والحسد، فإن الحسد . . . » فذكره، وجده، قال الذهبى: لعله سالم البراد ثقة، وقول البخارى: لا يصح، هو فى تاريخه الكبير، وأما حديث أنس الذى أخرجه ابن ماجه، فمن رواية عيسى الحناط عن أبى الزناد عنه وعيسى الحناط ضعيف، وفى ترجمته رواه ابن عدى فى الكامل وقال: هو متروك الحديث، وفى هذا الحديث زيادة فى آخره: والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والإيمان جنة من النار، وقال ابن عدى فى الكامل: ورواه واقد ابن سلامة، وقيل: سلمة، عن يزيد الرقاشى عن أنس هكذا، ورواه الليث بن سعد عن محمد ابن عجلان عنه عن يزيد، ورواه ابن لهيعة عن محمد بن واقد عن أنس و لا يصح، قال أبو بكر ابن أبى رواد: والصواب عن يزيد عن أنس وفيه زيادات ذكر الصلاة والصيام والصدقة اهـ. ورواه الخطيب فى تاريخ بغداد وليس فيه عيسى الحناط، وفى الباب عن ابن عمر ومعاوية بن حيدة فحديث ابن عمر رواه الدارقطنى فى غرائب مالك من رواية مالك والليث عن نافع عنه، وقال: باطل، ورواية معاوية أخرجها الديلمى عن معاوية بن حيدة « الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل » وفى الباب أيضًا حديث الزبير أخرجه ابن عبد البر فى كتاب العلم بلفظ « دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء ».

(١١٩) حديث: « من تكبر وضعه الله، ومن تواضع رفعه الله »، **قال العراقى**: أخرجه الخطيب من حديث عمر بإسناد صحيح، وقال: غريب من حديث الثورى، ولابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن اهـ.

قال مرتضى: هو فى تاريخ الخطيب بلفظ: خفضه الله، مكان وضعه. وفى الأوسط للطبرانى: قصمه الله مكان وضعه، أخرجاه هكذا من رواية عابس بن ربيعة قال: سمعت عمر ابن الخطاب يقول: أيها الناس تواضعوا فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول . . . فذكراه . =

نازعنى فيهما قصمته » (١٢٠) ولا ينفك المناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض

= وقال الخطيب: غريب ولفظ ابن ماجه من رواية ابن لهيعة عن أبى الهيثم عن أبى سعيد « من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله،وهكذا أورده أيضًا أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما وقال ابن حجر فى الفتح: خرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد رفعه بلفظ: « من تواضع لله رفعه الله حتى يجعله فى أعلى عليين» قال: وصححه ابن حبان بل خرجه مسلم فى الصحيح والترمذى فى الجامع بلفظ: « من تواضع أحد لله إلا رفعه الله» هكذا خرجاه معًا عن أبى هريرة مرفوعًا ورواه أحمد والبزار عن عمر بلفظ « من تواضع لله رفعه الله وقال انتعش نعشك الله فهو فى أعين الناس عظيم وعند الله كبير» وفى الأوسط للطبرانى من رواية أبى معشر عن المقرى عن أبى هريرة: «من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله ومن ارتفع عليه وضعه الله » وأخرجه أبو نعيم وكذا القضاعى كلاهما عن أبى هريرة مرفوعًا وزاد أبو نعيم فى الحلية فى رواية « ومن تكبر على الله وضعه الله حيث يجعله فى أسفل سافلين» ووجدت أيضًا فى الحلية فى ترجمة سلمان من طريق الأعمش عن أبى ظبيان عن جرير قال: قال سلمان: يا جرير، تواضع لله فإنه من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة. وفى الباب عن طلحة وابن عباس ومعاذ بن جبل وأوس بن خولى. ثم معنى قوله «تواضع لله » أى لأجل عظمة الله تواضعًا حقيقيًا وهو كما قال ابن عطاء الله: ما كان ناشئا عن شهود عظمة الحق وتجلى صفته، فالتواضع للناس مع اعتقاد عظمة فى النفس واقتدار ليس بتواضع حقيقى بل هو بالتكبر أشبه» وقيل: التواضع لله أن يضع نفسه حيث وضعها الله من العجز وذل العبودية تحت أوامره سبحانه بالامتثال وزواجره بالانزجار وأحكامه بالتسليم للأقدار ليكون عبدًا فى كل حال فيرفعه بين الخلائق، وإن تعدى طوره وتجاوز حده وتكبر وضعه بين الخلائق.

(١٢٠) حديث: « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته» هكذا فى النسخ وفى بعضها بتقديم الكبرياء على العظمة وهى نسخة العراقى، قال العراقى: أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة، وهو عند مسلم بلفظ « الكبرياء رداؤه » من حديث أبى هريرة وأبى سعيد اهـ. وفى المقاصد أخرجه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجه كلهم عن أبى هريرة مرفوعا « يقول الله: الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى النار » ولفظ ابن ماجه « فى جهنم» وعند أبى داود « قذفته فى النار » وعند مسلم « عذبته » وقال « رداؤه وإزاره» بالغيبة، وزاد مع أبى هريرة أبا سعيد، ورواه الحاكم فى مستدركه من وجوه أخر بلفظ « قصمته » وبدون ذكر العظمة وقال: صحيح على شرط مسلم، وممن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعى فى مسنده من حديث عطاء بن السائب عن أبيه عن أبى هريرة بزيادة « يقول الله » وللحكيم الترمذى عن أنس رفعه « يقول الله عز وجل لى العظمة والكبرياء والفخر والقدر سرى فمن نازعنى واحدة منهن كببته فى النار » اهـ. قال مرتضى: أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه من رواية الأغر بن مسلم عن=

والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم فى الدخول عند مضايق الطرق ، وربما يتعلل الغبى والمكار الخدّاع منهم أنه يبغى صيانة عز العلم، وأن : « **المؤمن منهى عن الإذلال لنفسه**»(١٢١) فيعبر عن التواضع الذى أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل ، وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين ، تحريفًا للاسم وإضلالا للخلق به كما فعل فى اسم الحكمة والعلم وغيرهما .

= أبى هريرة إلا أن لفظهما « فمن نازعنى واحدًا منهما » وقد رواه أحمد من رواية الثورى عن عطاء بن السائب عن أبيه بلفظ «ألقيته فى النار »، والحاكم رواه من رواية ابن المسيب عن أبى هريرة، وفى الباب عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو وعلى بن أبى طالب.

(١٢١) حديث: « وأن المؤمن منهى عن إذلال نفسه » ورد ذلك من حديث حذيفة وعلى وأبى بكرة وابن عمر، أما حديث حذيفة فرواه الترمذى وابن ماجه من رواية على بن زيد عن الحسن عن جندب عنه رفعه « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه » قال الترمذى: حسن صحيح غريب، **قاله العراقى. قال مرتضى:** وكذلك رواه الإمام أحمد وزاد أبو يعلى فى مسنده والضياء فى المختارة: « قيل: كيف يذل نفسه ؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق» وفى بعض رواياتهم « لا ينبغى للمسلم » وأخرجه ابن عدى فى الكامل فقال: حدثنا محمد ابن عبد السلام البصرى السلمى عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن الحسن عن جندب عن حذيفة فذكره، قال: وهذا ليس عند هدبة إنما يعرف هذا لعمرو بن عاصم عن حماد، وقد ادعاه عمر بن موسى الحارثى عن الكديمى وهو ضعيف، وابن عبد السلام أبطل روايته هذا الحديث عن هدبة عن حماد اهـ. وأما حديث على فرواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عاصم بن ضمرة عن على رفعه « ليس للمسلم أن يذل نفسه» قالوا: يا رسول الله وكيف يذل نفسه ؟ قال: « يتعرض من البلاء لما لا يطيق » وقال: لا يروى عن على إلا بهذا الإسناد، تفرد به الجارود، وأما حديث أبى بكرة فرواه الحرث بن أبى أسامة عن الخليل ابن زكريا عن حبيب بن الشهيد عن الحسن عنه رفعه « ليس للمؤمن أن يذل نفسه » والخليل بن زكريا البصرى ضعيف. وأما حديث ابن عمر فرواه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة أبى حفص عمر بن موسى بن سليمان الحارثى عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عنه رفعه « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه » وقال: ضعيف يسرق الحديث، قال: وهذا يعرف بعمرو بن عاصم عن حماد فسرقه منه عمر هذا، **قال العراقى:** وله طريق آخر رواه البزار والطبرانى فى الكبير والأوسط من رواية مجاهد عن ابن عمر مثله، وزاد فيه: قلت: يا رسول الله كيف يذل نفسه. . الحديث، وإسناده جيد، قلت: وقد روى أيضًا من حديث أبى سعيد الخدرى رواه أبو يعلى فى مسنده أشار له الجلال فى جامعه الكبير، وقرأت فى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة الفضيل بن عياض قال له الفضل بن الربيع وهو مع هارون الخليفة ودق عليه الباب فلم يفتح؛ « أليس قد روى عن النبى ﷺ أنه قال: « ليس للمؤمن أن يذل نفسه »؛ فنزل ففتح الباب.

ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه ، وقد قال ﷺ : « المؤمن ليس بحقود »[١٢٢]، وورد فى ذم الحقد ما لا يخفى ، ولا ترى مناظراً يقدر على ألا يضمر حقداً على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف فى كلامه فلا يقابله بحسن الإصغاء، بل يضطر شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتربيته فى نفسه وغاية تماسكه الإخفاء بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر لا محالة فى غالب الأمر ، وكيف ينفك عن هذا ، ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله فى إيراده وإصداره ، بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس فى صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر ، ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ، ولا يزال المناظر مثابراً على أكل الميتة ،فإنه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته، وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب فى الحكاية عنه ، فيحكى عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة، فأما الكذب فبهتان ، وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يُعرض عن كلامه ويصغى إلى خصمه ،ويُقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة .

ومنها تزكية النفس ،قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ (النجم: ٣٢).

وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح ؟ فقال: ثناء المرء على نفسه. ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفعل على الأقران، ولا ينفك فى أثناء المناظرة عن قوله : لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفنن فى العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث، وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف ، وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه ، ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعًا وعقلا .

ومنها التجسس وتتبع عورات الناس ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ (الحجرات: ١٢) . والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليُخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه فى إفضاحه وتخجيله إذا مست إليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو

(١٢٢) حديث: « المؤمن ليس بحقود » قال العراقى: لم أقف له على أصل. ا هـ.وتبعه على ذلك الحافظ السخاوى فى مقاصده.

غيره، ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرّض به إن كان متماسكا، ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبيب، ولايمتنع عن الإفصاح به إن كان متبجحًا بالسفاهة والاستهزاء ، كما حكى عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم .

ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ، ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين ، فكل من طلب المباهاة بإظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يساومونه فى الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر، فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها ، فهكذا ترى المناظر إذا رأى مناظراً تغير لونه واضطرب عليه فكره ، فكأنه يشاهد شيطانًا ماردًا أو سبعًا ضاريًا ، فأين الاستئناس والاسترواح الذى كان يجرى بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم فى السراء والضراء ، حتى قال الشافعى ﷺ : العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل. فلا أدرى كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة ، فهل يتصوّر أن ينسب الأنس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة ، هيهات هيهات. وناهيك بالشرّ شرًا أن يُلزمك أخلاقَ المنافقين ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين .

ومنها النفاق ، فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد فى ذمه وهم مضطرون إليه ، فإنهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدًا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطِب والمخاطَب وكل من سمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فإنهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب ، نعوذ بالله العظيم منه ، فقد قال عليه‌السلام : « **إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا فى الأرحام ، لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم** » (١٢٣) رواه الحسن، وقد صح ذلك

---

(١٢٣) حديث: « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم » (رواه الحسن) أى البصرى، فإنه هو المراد عند إطلاقه عند المحدثين، فالحديث مرسل، وقال العراقى: أخرجه الطبرانى من حديث سلمان بإسناد ضعيف نحوه اهـ. وقال فى التخريج الكبير: ، وقد ورد متصلا من حديث سلمان وابن عمر، أما حديث سلمان فأخرجه الطبرانى فى معجميه الكبير والأوسط من رواية الحجاج ابن مرافعة عن ابن عمر وعن سلمان رفعه « إذا ظهر القول وخزن العمل=

بمشاهدة هذه الحالة ، ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى إن أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ، ومهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية ، فلا يسمع كلاما إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع ، فيضرب البعض منها بالبعض ، والمراء في مقابلة الباطل محذور إذ ندب رسول الله ﷺ إلى ترك المراء بالحق على الباطل ، قال ﷺ : « **من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتًا فى ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بني الله له بيتًا في أعلى الجنة** »(١٢٤) وقد سوّى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذّب بالحق ، فقال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ﴾ (العنكبوت: ٦٨) .

= واتلفت الألسن وتباغضت القلوب وقطع كل ذى رحم رحمه، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم الله وأعمى أبصارهم »، وإسناده حسن وقد رويناه فى الخبر الثالث من حديث أبى عمرو بن حمدان من وجه آخر وفى إسناده محمد بن عبد الله بن علاثة مختلف فيه ورواه البيهقى فى المدخل موقوفا على سلمان ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا، وأما حديث ابن عمر رويناه فى الجزء الثالث المذكور من رواية أبى عمر وعنه بلفظ « يوشك أن يظهر العلم ويخزن العمل ويتواصل الناس بألسنتهم ويتباعدون بقلوبهم فإذا فعلوا ذلك طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم »، وفى سنده بشر ابن إبراهيم الخلوع ضعيف جداً وفى ترجمته رواه ابن عدى فى الكامل، **قال مرتضى**: وهكذا أخرجه الديلمى أيضًا فى مسند الفردوس عن ابن عمر «وقد صح ذلك» أى ما ذكرناه «مشاهدة» فلا مجال للإنكار فيه.

(١٢٤) حديث: « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة » الربض محركة: الساحة، **قال العراقى**: أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف، قال الترمذى: حديث حسن. اهـ. **قال مرتضى**: هكذا أخرجاه من رواية سلمة بن وردان عن أنس بلفظ « من ترك الكذب وهو باطل بنى له بيت فى ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى وسطها، ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها » وحسنه الترمذى وقال: لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن وردان عن أنس وضعفه ابن عدى فى الكامل وأخرجه ابن منده عن مالك بن أوس بن الحدثان عن أبيه وأخرجه أبو داود بسند جيد من حديث أبى أمامة رفعه « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت فى وسطها لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه » وأخرج الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس رفعه « أنا=

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ (الزمر: ٣٢) .

ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد فى استمالة قلوبهم وصرف وجوههم ، والرياء هو الداء العضال الذى يدعو إلى أكبر الكبائر ، كما سيأتى فى كتاب الرياء ، والمُناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه .

فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدى إلى الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والأخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الأستاذين والقذف الصريح فإن أولئك ليسوا معدودين فى زمرة الناس المعتبرين ، وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر ، نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه ، أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ، ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقاربين له فى الدرجة ، ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الأنفة والغضب ، والبغضاء والطمع ، وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والأشر والبطر ، وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم ، والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعنى ، وكثرة الكلام ، وخروج الخشية والخوف و الرحمة من القلب ، واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدرى المصلى منهم فى صلاته ما صلى ، وما الذى يقرأ ، ومن الذى يناجيه ، ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة مع أنها لا تنفع فى الآخرة من تحسين العبارة ، وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر ، إلى غير ذلك من أمور لا تحصى . .

= الزعيم ببيت فى رباض الجنة وببيت فى أعلاها وببيت فى أسفلها لمن ترك الجدال وهو محق وترك الكذب وهو لاعب وحسن خلقه » وأخرج الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن يزيد الدمشقى، قال: حدثنى أبو الدرداء وأبو أمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك قالوا: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن نتمارى فذكر حديثا فيه: « ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة فى رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق » الحديث.

والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم دينًا وأكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الأخلاق ، وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها ، واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضا إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهى لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران ، وبالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى فى الآخرة ؛ فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد، ولذلك قال ﷺ : «**أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه**» فلقد ضره مع أنه لم ينفعه ، وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات هيهات، فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلك، وهو كطالب الملك فى الدنيا فإن لم يتفق له الإصابة فى الأموال لم يطمع فى السلامة من الإذلال بل لابد من لزوم أفصح الأحوال؛ فإن قلت فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهى ترغيب الناس فى طلب العلم إذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم، فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ، ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان فى المكتب ، وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ، ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ فيهم: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم**»[(١٢٥)]، وقال ﷺ : «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»[(١٢٦)].

---

(١٢٥) حديث: « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ».
قال مرتضى: وهذا الحديث لم يذكره العراقى فى تخريجه وهو موجود فى سائر النسخ الموجودة من الإحياء، وقد أخرجه ابن عدى فى الكامل من طريق جعفر بن جبير بن فرقد عن أبيه عن الحسين عن أبى بكرة قال: وجعفر هذا يروى المناكير وأبوه ضعيف، وأخرج أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة مالك بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : « ليؤيدن الله هذا الدين بقوم لا خلاق لهم »، قلت: يا أبا سعيد عمن ؟ قال: عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ : وله شاهد قوى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه الطبرانى فى الكبير ولفظه « إن الله تعالى ليؤيد الإسلام برجال ما هم من أهله ».

(١٢٦) حديث: وقال ﷺ : « إن الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » وهو الشاق ستر الديانة، أخرجه الطبرانى فى الكبير عن عمرو بن النعمان بن مقرن المزنى، قال ابن عبد البر: له صحبة وأبوه من أجلة الصحابة، قتل النعمان شهيدا بوقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين ولما=

فطالب لرياسة فى نفسه هالك ، وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا ، وذلك فيمن كان ظاهر حاله فى ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف، ولكنه يضمر قصد الجاه، فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه ويستضىء به غيره ، فصلاح غيره فى هلاكه، فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها .

= جاء نعيه خرج عمر فنعاه على المنبر وبكى، هكذا هو فى الجامع الصغير للسيوطى، قال المناوى فى شرحه: وظاهر صنيعه أن هذا لا يوجد مخرجا فى الصحيحين ولا أحدهما وهو ذهول شنيع وسهو عجيب، فقد قال الحافظ العراقى: إنه متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ: « إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » رواه البخارى فى القدر وفى غزوة خيبر ورواه مسلم مطولا، وممن رواه الترمذى فى العلل عن أنس مرفوعًا، ثم ذكر أنه سأل عنه البخارى فقال: حديث حسن حدثناه محمد بن المثنى اهـ. فعزو المصنف الحديث للطبرانى وحده لا يرتضيه المحدثون فضلا عمن يدعى الاجتهاد اهـ. وقد رد عليه شيخ مشايخ شيوخنا الحافظ شهاب الدين العجمى فقال: هو غير متجه من وجوه، أولا فإنه لم يقل ما رواه إلا الطبرانى بصيغة الحصر ولم يلتزم فى كل حديث أن يذكر جميع من رواه، وثانيا أن ما نقله عن العراقى أنه متفق عليه إنما هو من حديث أبى هريرة فهو فى الصحيحين لا من حديث عمرو ابن النعمان، وثالثا أن المصنف نفسه قد نسبه فى درر البحار للصحيحين من حديث أبى هريرة والطبرانى من حديث عمرو المذكور ومن حديث ابن مسعود فأفاد فيه أن الحديث رواه ثلاثة من الصحابة وبذلك تضمحل جميع هذه الخرافات والله أعلم بالنيات، قال: ثم رأيت فى المشارق للصغانى هذا الحديث من رواية البخارى عن أبى هريرة والنعمان بن مقرن وقال شارحه ابن عبد الملك: انفرد البخارى برواية هذا الحديث عن النعمان بن مقرن اهـ.

قال مرتضى: حديث أبى هريرة اتفقا عليه فأخرجه البخارى فى الجهاد وغزوة خيبر والقدر ومسلم فى الإيمان، وأما حديث النعمان بن مقرن فليحرر أين أخرجه البخارى، فإنه ليس فى الأطراف ولا فى جمع عبد الحق ومختصره اهـ.

وقال مرتضى: أخرجه البخارى ومسلم من رواية الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة فى أثناء حديث الرجل الذى قال فيه إنه من أهل النار فتلخص من مجموع ذلك أن هذا الحديث روى من طرق خمسة من الصحابة: أبى هريرة وابن مسعود وأنس وعمرو بن النعمان وأبيه النعمان بن مقرن هكذا وقع عمرو بن النعمان، والنعمان هو ابن مقرن وقيل النعمان بن عمرو بن مقرن، كما وقع عند الطبرانى هنا فى الإسناد وسماه فى الترجمة عمرو بن النعمان بن مقرن وهو وهم نبه عليه العراقى، وقد ذكر الحافظ ابن حجر فى ترجمة عمرو بن النعمان من الإصابة أن روايته عن النبى ﷺ مرسلة، قاله أبو حاتم الرازى، وطريق ابن مسعود ظفرت به فى الكامل لابن عدى رواه حميد بن الربيع عن أبى داود=

فالعلماء ثلاثة : إمّا مهلك نفسه وغيره ، وهـم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها ، وإما مسعد نفسه وغيره ،وهـم الداعـون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطنا ، وإما مهلك نفسه مسعد غيره ، وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقـد رفض الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق وإقامة الجـاه ، فانظر من أى الأقسام أنت ومن الذى اشتغلت بالاعـتداد له فلا تظنن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل ، وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ما ينفى عنك الريبة فيه إن شاء الله تعالى .



= الحضرى عن الثورى عن عاصم عن ذر عن عبد الله قال ابن عدى : وهذا بهذا الإسناد غير مـحفوظ لا يرويه غير حـميد بن الربيع وهو كذاب، وقـد رواه الطبرانى أيضا فى الكبيـر وفى إسناده ضعف وورد هذا الحديـث أيضًا عن كعب بن مـالك وهو أيضًا فى المعجم الكبير للطبرانى.

الباب الخامس

فى آداب المتعلم والمعلم

أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة، ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل

الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف ، إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى ، وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف.

قال ﷺ : « **بُنى الدين على النظافة** » (١٢٧) وهو كذلك باطنًا وظاهراً .

---

(١٢٧) حديث: « بنى الدين على النظافة » **قال العراقى**: لم أجده هكذا، وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة « تنظفوا فإن الإسلام نظيف » وللطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود « تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان» اهـ.

قال مرتضى: وأورد الجلال فى جامعه ورمز للخطيب عن عائشة « إن الإسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف » والمعنى: الإسلام نقى من الدنس فنقوا ظواهركم من دنس نحو مطعم وملبس حرام، وملابسة قذر، وبواطنكم بإخلاص العقيدة ونفى الشرك ومجانبة الأهواء، وقلوبكم من غل وحقد وحسد، فإنه لا يدخل الجنة إلا طاهر الظاهر والباطن، ومن لم يكن كذلك طهرته ثم لابد من حشر عصاة الموحدين مع الأبرار فى دار القرار، فالمنفى الدخول الأوّلى قاله المناوى وأشار إلى ضعف الحديث، قال السخاوى: وعند الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى فى الأفراد من حديث نعيم بن موزع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعا بلفظ « الإسلام نظيف » ثم ساق كما عند الخطيب، ونعيم ضعيف، وأخرج الترمذى وغيره من حديث مهاجر بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه مرفوعا « إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الجود » وقال: غريب، والدارقطنى من حديث عبد الله بن إبراهيم الغفارى.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (التوبة: ٢٨) تنبيهًا للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس، فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن، ولكنه نجس الجوهر ، أى باطنه ملطخ بالخبائث ، والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه ، وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فإنها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل، ولذلك قال ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب » (١٢٨) والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم ، والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة ، فأنَّى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العِلْم لا يقذفه الله تعالى فى القلب إلا بواسطة الملائكة : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ (الشورى: ٥١) .

وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها، وهم المقدسون المطهرون المبرءون عن الصفات المذمومات، فلا يلاحظون إلا طيبًا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرًا ، ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب ، وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ، ولكنى أقول هو تنبيه عليه، وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر، ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذه طريق الاعتبار، وهو مسلك العلماء والأبرار ، إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه، كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه

(١٢٨) حديث: « لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث أبى طلحة الأنصارى اهـ.

قال مرتضى: وبقية الحديث « ولا صورة » وهكذا أخرجه أيضًا الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه كلهم من طريق أبى طلحة، وأخرجه الطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة عن أبى أيوب رفعه مثله، وعند أبى داود والنسائى والحاكم عن على مرفوعا « لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب » وعند الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة عن ابن عباس عن أبى طلحة « لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة تماثيل » وفى الباب عن ابن عمر وعائشة وميمونة وابن عباس وأسامة وبريدة وابن عمرو وأبى أمامة وأبى رافع.

أيضًا عرضة للمصائب، تكون الدنيا بصدد الانقلاب، فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة، فاعبر أنت أيضًا من البيت الذى هو بناء الخلق إلى القلب الذى هو بيت من بناء الله تعالى، ومن الكلب الذى ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة إلى الروح الكلبية وهو السبعية، واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتكلب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب فى المعنى وقلب فى الصورة، فنور البصيرة يلاحظ المعانى لا الصور، والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى والمعانى باطنة فيها، وفى الآخرة تتبع الصور المعانى وتغلب المعانى، فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية، **«فيحشر الممزق لأعراض الناس كلبًا ضاريًا، والشره إلى أموالهم ذئبًا عاديًا والمتكبر عليهم فى صورة نمر، وطالب الرياسة فى صورة أسد»** (١٢٩) وقد وردت بذلك الأخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار.

فإن قلت: كم من طالب ردىء الأخلاق حصل العلوم، فهيهات.. ما أبعده عن العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب للسعادة فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصى سموم قاتلة مهلكة، وهل رأيت من يتناول سُمًا مع علمه بكونه سُمًا قاتلا؟! إنما الذى تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى، وليس ذلك من العلم فى شىء.

---

(١٢٩) حديث: «فيحشر الممزق لأعراض الناس فى الدنيا كلبًا ضاريًا...» **قال العراقى:** أما حديث حشر الممزق لأعراض الناس كلبًا ضاريًا، فقد أخرجه الثعلبى فى التفسير من حديث البراء بسند ضعيف وقال فى تخريجه الكبير: لم أجد لذلك أصلا إلا ما رواه الثعلبى فى التفسير بإسناد ضعيف من حديث البراء بن عازب بنحو من ذلك اهـ.

قال مرتضى: وقد وجدت فى حشر المتكبر حديثًا إلا أنه ليس كما أورده المصنف أنه فى صورة نمر، وذلك فيما رواه الإمام أحمد والترمذى وحسنه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال» وأخرجه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة كعب الأحبار من ثلاثة طرق إحداهن عن معمر عن أبى مصعب عن أبيه عن كعب بنحو هذا السياق، والثانية والثالثة من رواية موسى بن عقبة عن عطاء بن أبى غروان عن أبيه عن كعب «والذى فلق البحر لموسى إن فيما أنزل الله فى التوراة أنه يحشر المتكبرون يوم القيامة...» فساق نحوه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف فى القلب .

وقال بعضهم : إنما العلم الخشية لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: ٢٨) وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم .

ولذلك قال بعض المحققين : معنى قولهم : تعلمنا العلم لغير الله فأبَى العلم أن يكون إلا لله ، أن العلم أبَى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه .

فإن قلت : إنى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برّزوا فى الفروع والأصول وعُدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها ، فيقال : إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علمًا وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى ، وقد سبقت إلى هذا إشارة، وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية: أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فإن العلائق شاغلة وصارفة ، وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ، ولذلك قيل : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر ، والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرّق ماؤه فنشّفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع .

الوظيفة الثالثة : ألاّ يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم، بل يلقى إليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق، وينبغى أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته ، قال الشعبى : « صلى زيد بن ثابت على جنازة فقُرِّبت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه؛ فقال زيد: خلّ عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء ، فقبل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ »(١٣٠)

(١٣٠) حديث: « صلى زيد بن ثابت » ابن الضحاك بن لوذان الأنصارى النجارى أبو سعيد=

وقال ﷺ : « ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا فى طلب العلم » (١٣١) فلا ينبغى لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ، ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة ، فإن العلم سبب النجاة والسعادة، ومن يطلب مهربًا من سبع ضارٍ يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل، وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع ، فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائنًا من كان ، فلذلك قيل :

العلم حرب للفتى المتعالى كالسيل حرب للمكان العالى

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع .

= وأبو حارثة صحابى مشهور كتب الوحى، قال مسروق: كان من الراسخين فى العلم، مات سنة ثمان أو خمس وأربعين، وقيل بعد الخمسين « على جنازة » هى جنازة أمه، كما وقع التصريح بذلك فى الرواية الآتية، « فقربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس » رضي الله عنهما «فأخذ بركابه» تبركا وتشرفا «فقال زيد: خل عنه» وفى رواية « ذر» « يا ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء » أى ذوى الأسنان والشيوخ « فقبل زيد ابن ثابت يده، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت رسول الله ﷺ ».

قال العراقى: فى التخريج الصغير: أخرجه الطبرانى والحاكم والبيهقى فى المدخل إلا أنهم قالوا: « هكذا نفعل »، قال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم. ا هـ. وقال فى التخريج الكبير: رواه الطبرانى فى الكبير وابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين والبيهقى فى المدخل من رواية رزين الرمانى عن الشعبى « أن زيد بن ثابت كبر على أمه أربعًا وناشدها خيرًا ثم أتى بدابته فأخذ ابن عباس بالركاب، فقال زيد بن ثابت: دعه أو ذر، فقال ابن عباس: هكذا نفعل بالعلماء الكبراء » لفظ الطبرانى وإسناده صحيح ورواه الحاكم فى المستدرك من رواية أبى سلمة عن ابن عباس أنه أخذ بركاب زيد بن ثابت فقال له: تنح ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال: إنا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا، وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه اهـ. وقد تقدم الكلام على هذا فى أول الكتاب، ورزين الرمانى هو رزين بن حبيب الجهنى الكوفى بياع الأنماط، أخرج له الترمذى ووثقه أحمد وابن معين.

(١٣١) حديث: وقال رسول ﷺ : « ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا فى طلب العلم » قال العراقى: أخرجه ابن عدى من حديث معاذ وأبى أمامة بإسنادين ضعيفين اهـ.. وقال ابن القيم: قال ابن قتيبة: جاء فى الحديث « ليس الملق من أخلاق المؤمن إلا فى طلب العلم » ثم قال: وهذا أثر عن بعض السلف. =

= قال مرتضي: قال ابن الجوزى في الموضوعات: فيه عن معاذ وأبى أمامة وأبى هريرة، فأما حديث معاذ فأخرجه ابن عدى من طريق الحسن بن واصل عن الخصيب بن جحدر عن النعمان ابن نعيم عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ رفعة بالسياق السابق.

وقال مرتضى كذلك: هكذا هو بزيادة عبد الرحمن بن غنم بين النعمان ومعاذ فى نسخ الموضوعات وفي بعضها بإسقاطه وهو الأشبه، وهكذا رواه بإثباته أبو بكر بن السنى من رواية بقية بن الوليد عن إسماعيل بن عياش عن الحسن بن دينار وهو الحسن بن واصل الذي في نص ابن الجوزى، ودينار زوج أمه فنسب إليه واسم أبيه واصل، قال ابن الصلاح: وكان هذا خفي على ابن أبى حاتم حيث قال: الحسن بن دينار بن واصل.

قال العراقي: وعكس ذلك أبو العرب فى كتاب الضعفاء فروى عن يحيى بن محمد بن يحيى ابن سلام عن أبيه، قال: الحسن بن واصل بن دينار ودينار جده وهذا وهم، ورواه الديلمى من طريق أبى نعيم من رواية عمر بن إبراهيم الكردى عن الحسن بن صالح عن النعمان بن نعيم، ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية عبد العزيز بن أبان عن الحسن ابن دينار عن النعمان ابن نعيم، ثم قال ابن الجوزى: وأما حديث أبى أمامة فأخرجه ابن عدى أيضا من طريق عمر بن موسي الوجيهى عن القاسم عن أبى أمامة رفعه مثله، وأما حديث أبى هريرة فأخرجه ابن عدي أيضًا من طريق ابن علاثة عن الأوزاعى عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة مرفوعا « لا حسد ولا ملق إلا فى طلب العلم » قال: ليس شيء من هذه الأحاديث يصح، أما الأول فمداره على الخصيب وقد كذبه شعبة والقطان وابن معين، وقال ابن حبان يروى الموضوعات عن الثقات، ثم قال: وأيضًا الحسن بن واصل ضعيف جدًا منسوب إلى الكذب، وأما الثانى فإن عمر بن موسى الوجيهى، قال النسائي والدارقطني: متروك، وأما الثالث فإن ابن علاثة اسمه محمد بن عبد الله بن علاثة لا يحتج به، قال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الثقات، قال الحافظ السيوطى فى كتابه اللآلئ المصنوعة بعد نقله لما تقدم: ابن علاثة روى له أبو داود والنسائى وابن ماجه ووثقه ابن معين، وقال أبو سعيد: ثقة إن شاء الله تعالى، وقال أبو زرعة: صالح، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يُحتج به، وقال الذهبى: هذا الحديث لعل آفته من عمرو فإنه متروك، قال: وقد أورد لابن علاثة أحاديث حسنة وقال: أرجو أنه لا بأس به، وقال الأزدى: حديثه يدل على كذبه، قال الخطيب: أفرط الأزدى وأحسبه وقعت إليه روايات عمرو بن الحسين عنه فكذبه لأجلها: وإنما الآفة من ابن الحصين فإنه كذاب وأما ابن علاثة فقد وصفه يحيى بن معين بالثقة، قال: ولم أحفظ لأحد من الأئمة خلاف ما وصفه به يحيى اهـ. وهذا الحديث أخرجه البيهقى في شعب الإيمان وقال: هذا الإسناد ضعيف، وكذا حديث معاذ وقال: ضعيف، قال: وقد روى من أوجه كلها ضعيفة. اهـ. وورد هذا الحديث أيضًا عن ابن عمر .

=





بسم الله الرحمن الرحيم
نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين
إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .
وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .
وقد عنى الحافظ العراقى بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفَّاظ .
ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .
اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامًا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .
بمشيئة الله تعالى ستوالى « دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع » نشره فى أعداد متتابعة .
والله ولى التوفيق ،
هانى غريب
جـ ٤